الرئيس عرفات والحاج أمين الحسيني
قراءة مقارنة في الزعامة والقرارات الاستراتيجية

أ. سلافة حسن حجاوي*

الملخص

تتضمن الدراسة ة مقارنة في سياسات واستراتيجيات الزعيمين اللذين تمتدا على امتداد نحو قرن من الزمان، كل في حينه، بتأييد أغلبية الشعب الفلسطيني، واتخذا قرارات استراتيجية، وامتنعا أحيانا عن اتخاذ مثل هذه القرارات، على نحو أثر في صميم واقع الشعب الفلسطيني ومستقبله ، حيث انتهت فترة الحاج أمين الحسيني بكارثة مأساوية، بينما انتهت حياة الرئيس ياسر عرفات قبل أن يحقق ما حلم به، وأورث شعبه وضعا حرجا تضاءلت فيه الآمال وزادت المخاوف إزاء المستقبل.

لذلك فإن هذه الدراسة سوف تتبع المنهج المقارن فيما يخص الزعيمين الراحلين، بهدف إلقاء الضوء على نقاط التشابه والاختلاف بينهما في ضوء تباين المرحلة الزمنية والتحديات السياسية والإستراتيجية ومتغيرات قضية فلسطين و تقوم الدراسة أيضاً بتقويم إنجازاتهما وإخفاقاتهما،وما ترتب على ذلك من خيارات مستقبلية للشعب الفلسطيني.

وفي ضوء ما سبق، فإن البحث سوف يتناول التالي:

1. المكونات الثقافية للزعيمين .
2. مصادر قوة كل منهما.
3. الرؤية السياسية لكل منهما لطبيعة الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي .
4. ماهية القرارات السياسية التي اتخذاها أو امتنعا عن اتخاذها .
5. رؤية الزعيمين للساحة العربية والإسلامية وكيفية التعامل معهما.
6. رؤية الزعيمين للساحة الدولية وكيفية التعامل معها.
7. عملية اتخاذ القرار السياسي لدى الزعيمين.

ARAFAT AND HUSSEINI
COMPARATIVE STUDY IN LEADERSHIP A
A SYNOPSIS

ABSTRACT

The paper I would like to submit to your conference is a comparative study of the policies and strategies of the two leaders، Yaser Arafat and Amin Husseini، who lead the Palestinians for about a century، enjoying the support of the majority of their people، each in his time. The strategic decisions which they made or did not make affected the destiny of the Palestinian people in a way that led to a national disaster during the reign of Amin al Husseini ، while Yaser Arafat died before

* باحثة وكاتبة.

fulfilling his political dreams، leaving behind him an uncertain and bleak future for his people.

The Comparative study will try to explore the causes of this outcome within the sphere of the two leaders responsibility، in an attempt to answer the following question: What are the similarities and differences between the ways of thinking of the two leaders that lead to this outcome? The study will deal with the following :

1- The cultural Components of the two leaders.
2- The two leaders' sources of power.
3- Their political visions as to the nature of the Palestinian – Israeli conflict.
4- The nature of the decisions they made or not made in this regard.
5- Their Arab and Islamic Policies.
6- Their international Policies.
7-The processes of their decision making.

المقدمة:

حظي الزعيمان الفلسطينيان، ياسر عرفات والحاج أمين الحسيني، على امتداد نحو قرن من الزمان، وكل في حينه، بتأييد أغلبية شعب فلسطين، واتخذا قرارات إستراتيجية، وأحجما عن اتخاذ قرارات أخرى. وقد أثر ذلك في صميم واقع ومستقبل الشعب الفلسطيني، حيث انتهت فترة الحاج أمين الحسيني بكارثة مأساوية في عام 1948، بينما انتهت حياة الرئيس ياسر عرفات في عام 2004 قبل أن يحقق لشعبه ما حلم به، وأورثه وضعا حرجا تضاءلت فيه الآمال، وازدادت المخاوف إزاء المستقبل.

لذلك، فإن هذه الدراسة التي تعتمد المنهج المقارن، إنما تهدف للتعرف إلى أسباب ذلك الفشل لدى الزعيمين، ومدى تشابه واختلاف العوامل المؤثرة على قراراتهما الاستراتيجية، ومدى تأثر الرئيس الراحل ياسر عرفات بتجربة سلفه، وأثر ذلك على النتائج الأخيرة لتجربته.

وانطلاقا من المنهج المقارن المعتمد في هذه الدراسة، فقد تم اللجوء إلى متابعة حياة الحاج أمين السياسية، ثم متابعة حياة ياسر عرفات، وفقا لتتابع أقسام الدراسة، بهدف استكشاف أوجه الشبه والاختلاف، مع مراعاة الفارق الزمني بينهما.

وفي ضوء ما سبق، فقد تم استهلال الدراسة بإطلالة على العلاقات الشخصية التي ربطت بينهما. كما تم تخصيص قسم للخلفية الثقافية التي لابد وأنها قد أثرت في عملية اتخاذهما للقرارات. وكان لابد من تخصيص قسم لمصادر قوة الزعيمين، وآخر للرؤية السياسية التي بلورها كل منهما إزاء فلسطين ككيان سياسي، في ضوء التحديات التي مثلها المشروع الصهيوني، وذلك وصولا إلى القسم الخاص بالقرارات السياسية وكيفية اتخاذها. كما أضيف للدراسة قسمان خاصان بتعامل كل منهما مع الساحات العربية والإسلامية والدولية الأجنبية بهدف التعرف إلى نظرة كل منهما للعالم السياسي الخارجي، ثم اختتمت بخاتمة.

أما بالنسبة للمصادر والمراجع، فيجب الإقرار بأن حجم الدراسات والبحوث الفلسطينية في هذا المجال، ضئيلة ومنخفضة المستوى، باستثناء بعض المراجع التاريخية كالمذكرات وما يتوفر من وثائق. لذلك كان لابد من اللجوء إلى الدراسات الأجنبية، التي تفوق العربية كماً ومستوى، لاعتمادها على وثائق أجنبية وعلى المقابلات الشخصية، وعلى كم كبير من المعلومات التي هي أساس عملية البحث العلمي.

إن هذه الدراسة جديدة في موضوعها ومنهجها، حيث لم أعثر على ما يعالج هذا الموضوع وما يتبنى منهجيته في الدراسات الفلسطينية. وهي بالنسبة لي، دراسة استكشافية تجريبية أتمنى أن يتخذها الباحثون والدارسون منطلقا لمشاريع دراسية كبيرة ومعمقة تتيح الوصول إلى قدر أكبر من المعلومات والتحليل والنتائج، وذلك من أجل توسيع عالم البحث والدراسات في مجال العلوم السياسية، وإثراء التجربة السياسية الفلسطينية، واستخلاص الدروس والعبر.

1- علاقات حميمة:

تأثر الرئيس الراحل ياسر عرفات في سنوات طفولته وشبابه المبكر بالحاج أمين الحسيني، واتخذ منه مثلا أعلى كزعيم يناضل من أجل تحرير وطنه وشعبه، ويطارد من قبل المستعمرين بسبب ذلك النضال. فقد كان الحاج أمين، على الرغم من غيابه عن أرض الوطن منذ عام 1937، حاضرا في حياة ياسر الطفل والشاب، من خلال صلة القرابة من جهة، وبفعل لقاءات ياسر الشاب اليافع المتكررة مع عبد القادر الحسيني، الذي اقترن اسمه بالحاج أمين منذ عام 1935 لدى تشكيل قوات الجهاد المقدس[1] . ويبدو أن ولعه بالأسلحة والمتفجرات، وهو ولع اقتصر عليه دون إخوته الآخرين، كان بفعل ما كان يشاهده في القدس وحول عبد القادر الحسيني من أجواء عسكرية في خضم ثورة1936-1939 وما تبعها من أحداث وتطورات. فكان يقوم حين يكون في غزة بتوزيع المنشورات التي كان عبد القادر الحسيني يصدرها في القدس، ويجيب إذا ما سأله زملاؤه عن الأوضاع السياسية بقوله: "لا تسألوا، نحن جنود لا ساسة، نحن مشاريع شهادة، الحج أمين وعبد القادر فقط هما الساسة[2] ".

التقى ياسر عرفات الحاج أمين مرارا منذ عودة الأخير من باريس إلى القاهرة في عام 1946، فعرفه عن قرب. ويذكر ياسر عرفات أنه توجه إليه في عام 1949، وكان الحج أمين في ذلك الحين في لبنان، لكي يطلع على رأيه في الكفاح المسلح، وعلى مدى استعداده للمساعدة ماليا لشراء أسلحة، وبأن الحاج أمين نصحه بأن ينسى الكفاح المسلح ويغادر إلى أمريكا لمواصلة دراسته، حيث يقول عرفات: بأنه فكر جديا بذلك لفترة قصيرة[3]. ويبدو أن حالة اليأس التي هيمنت في ذلك الحين على كل الفلسطينيين، قد شملت عرفات والحاج أمين.

الرئيس عرفات والحاج أمين الحسيني . . .

وقد تطورت علاقتهما خلال الخمسينيات لتكتسي سمة العلاقة بين شاب صاعد سياسيا ونضاليا وأب روحي سياسي مفعم بالتجارب والإصرار على مواصلة أداء دوره كقائد للحركة الوطنية الفلسطينية، على الرغم مما أصاب دوره من تآكل. فيذكر عرفات أن الحاج أمين هو الذي شجعه في عام 1951، على السعي للوصول إلى رئاسة اتحاد طلاب فلسطين في القاهرة، وهو ما وصل إليه فعلا[4]. كما تعاون الاثنان، كل على حدة، مع الإخوان المسلمين، وساءت علاقات الاثنين بجمال عبد الناصر لأسباب كادت أن تكون متشابهة، في مقدمتها العلاقة مع الإخوان المسلمين. وغادرا القاهرة في فترتين متقاربتين عام 1959، كل في اتجاه. وقد التقيا لاحقا بين حين وآخر في لبنان أوفي الأردن، حيث ما لبثت تلك العلاقة أن دخلت في طورها السياسي الذي انتهت فيه علاقة الأب الروحي بالشاب الصاعد، الذي أصبح رئيسا لأكبر تنظيم نضالي فلسطيني، لتتحول إلى علاقة قائمة على الندية والتنافس.

ففي أوائل الستينات، وبخاصة بعد أن تم تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة أحمد الشقيري في عام 1964، وقف الاثنان بضراوة ضد المنظمة ورئيسها. فعلى الرغم من أن الحاج أمين رأى في تشكيل المنظمة انتصارا لما ظل يطالب به منذ عام 1949 من ضرورة إحياء الكيان الفلسطيني واستقلالية القرار الفلسطيني، فقد كان يعتقد بأنه كان يجب أن يترأس هو نفسه تلك المنظمة، وأن المنظمة في تشكيلتها الحالية ليست إلا أداة في يد الأنظمة العربية. كما رأى ياسر عرفات أن الهدف من إنشائها هو الحيلولة دون نشوء المنظمات الفلسطينية المستقلة[5]. ولم يشارك الاثنان في افتتاح المجلس الوطني الذي عقد في القدس في العام ذاته لتدشين تأسيس المنظمة[6].

غير أن الحاج أمين ما لبث أن وجد في عرفات منافسا جديدا له، وبخاصة بعد أن أصبح عرفات في عام 1969 رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية التي طالما ناهضاها سويا. فعمد إلى مقارعته بتشكيل منظمة "الفتح الإسلامي" وإعادة تنظيم "الجهاد المقدس"، كمنظمتين عاملتين بشكل مستقل خارج إطار منظمة التحرير الفلسطينية. ولم يكن أمام عرفات، الذي لم يقبل بوجود منافس له، سوى التوجه إلى السعودية لإقناع المسؤولين فيها بإيقاف الدعم المالي الذي كانوا يقدمونه للحاج أمين، ونجح في ذلك. هكذا اضطر الحاج أمين إلى حل تنظيماته والموافقة على انضمام أعضائها إلى حركة فتح[7]. وبذلك اعترف الحاج أمين بزعامة ياسر عرفات.

على الرغم مما سبق، لم تنقطع صلة الاثنين، وبخاصة في سياق توتر العلاقات بين منظمة التحرير الفلسطينية والنظام الأردني، في الوقت الذي كان فيه الحاج أمين

يرمم علاقاته مع الأردن. يقول محيي الدين الحسيني، صهر الحاج أمين، بأن الاثنين كانا يلتقيان باستمرار في منزله في عمان وأن الحاج أمين "اخذ يشعر في ذلك الحين، وبخاصة بعد معركة الكرامة عام 1969، أن عرفات سيكون القائد المناسب للشعب الفلسطيني من بعده، وكان يعتقد أن عرفات قادر على تحمل المسؤولية. ثم يقول:"غير أن المفتي كان قلقا من تهور المقاتلين وكان يقول:"إنهم يعطون السلاح للجميع، كل ما عليك أن تقوله هو أنك معهم، فتحصل على كلاشينكوف. ويستطرد قائلا:"حذر الحاج أمين عرفات من تكرار الأخطاء القديمة، وكان يقول له: "انظر إلى أخطائنا وتعلم منها، وإلا فإنك سوف لا تقوم بواجبك، هذه ليست حربا، من المفترض بك أن تقود حركة سرية فلا تجند إلا الذين تثق بهم، يجب أن يكون العمل سريا"[8]. ومع انفجار الأحداث الدامية في عام 1970، "صعق الحاج أمين وظل صامتا، ولم يعلن تأييده لا للمنظمة ولا لعرفات[9]. ويبدو أن العلاقة قد انتهت منذ ذلك الحين.

فمنذ تسلمه رئاسة منظمة التحرير الفلسطينية، أخذ ياسر عرفات يشعر بثقل التحديات التي واجهها أو سيواجهها، وبضخامة المسؤولية التي سعى إلى حملها، مسؤولية أن يحافظ على وحدة الحركة الوطنية الفلسطينية التي عمد إلى إحيائها بعد أن أضاعها الحاج أمين، ومسؤولية أن لا يخرج من المعمعة بدون أي شيء كما خرج سلفه، وأخذ يردد:" إذا كان هناك شيء لا أريد أن أكونه، فهو الحاج أمين، لقد كان على حق في كل شيء، غير أنه انتهى بدون أي شيء، أي شيء، لا أريد أن أكون هكذا" [10].

2- الخلفية الثقافية:

ولد الحاج أمين الحسيني عام 1895[11]. في عائلة ظلت تعتبر على مدى عدة قرون أشرف عائلات فلسطين، وذلك بفعل نسبها الذي تعيده إلى الحسين بن علي ابن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء[12]. وقد أهلها ذلك النسب لتسلم معظم المناصب الدينية العليا في القدس، وذلك بالإضافة إلى كونها إحدى العائلات الثرية المالكة للأرض. وبفضل نسب العائلة الذي جمع بين الانتماء للعروبة والإسلام، نشأ الحاج أمين حاملا ثقافة هذا الانتماء المزدوج، والذي سوف يشكل لاحقا أهم عنصر في ثقافته السياسية.

إلى جانب ذلك، نشأ الحاج أمين على حب القدس حبا جارفا وعلى اعتبارها مدينة مميزة دينيا وتاريخيا وجمالا. فقد حفلت مذكراته التي دأب على كتابتها منذ سني شبابه، وبخاصة أثناء الفترة التي قضاها في اسطنبول، والتي امتدت من منتصف عام 1914 إلى أوائل عام1917[13]، بقصائد الحب والحنين للقدس والتمجيد بها[14]. ليس هذا فقط، بل إن القدس التي وعى عليها، لم تكن في ذلك الحين مجرد سنجق صغير على النحو

الذي كانت عليه قبل أواخر القرن التاسع عشر، وإنما كانت قد تحولت إلى متصرفية ضمت في البدء كل ما أصبح يعرف لاحقا بفلسطين الانتدابية، ثم قلصت بعد ذلك قليلا وبقيت تشمل نحو ثلاثة أرباعها[15] . وبذلك كانت العاصمة الفعلية والمركز الرئيس في البلاد. وسوف يتبلور إحساسه بهذه المكانة للقدس إلى عنصر آخر من عناصر ثقافته السياسية: القدس عاصمة، والحسينية هم الزعماء الشرعيون الوحيدون للمدينة والبلاد.

درس الحاج أمين، إبان سنوات طفولته ، في مدارس الكتاب التقليدية حيث حفظ القرآن وهو صغير، ثم في المدرسة العامة الرسمية. كما أدخل بعد ذلك إلى مدرسة الفرير الفرنسية لتعلم اللغة الفرنسية، ووضع له والده مدرسين خصوصيين لمادتي اللغة العربية والفرنسية[16]. ثم أرسل إلى القاهرة عام 1912 للالتحاق بجامعة الأزهر لدراسة علوم الدين والتأهل لكي يصبح مفتيا[17].

دخل الحاج أمين في القاهرة عالم الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، فالتحق إلى جانب الأزهر بمعهد الدعوة والإرشاد الذي أنشأه رشيد رضا. هناك تعرف على مفهوم القومية العربية والدعوات المتصاعدة في ذلك الحين إلى اللامركزية والانفصال عن الدولة العثمانية، واستمع إلى آراء ونظريات رشيد رضا[18]. وعلى يديه تشرب مبدأ رضا الذي يقول فيه:" إذا أردت أن تكون مسلما جيدا، لابد أن تكون عربيا"[19]. غير أنه لم يكتف بذلك، بل التحق أيضا بكلية الآداب في جامعة مصر التي ستصبح جامعة القاهرة[20]، حيث كانت ميوله الأدبية قوية في ذلك الحين. كما بادر مع مجموعة من الشباب الفلسطينيين المسيحيين إلى تأسيس جمعية لمناهضة الصهيونية[21]. غير أنه ذهب في صيف عام 1914 للحج بصحبة والدته ثم عاد معها إلى القدس. ويرجح أن أخاه عادل، الذي أصبح مفتيا بعد وفاة والده، قد منعه من العودة لمصر لعدم رضاه عن نشاطات وتوجهات أخيه السياسية[22]. لذلك فهو لم يحصل على أية شهادة جامعية في مصر. بعد ذلك، أرسله أخوه فور اندلاع الحرب العالمية الأولى إلى اسطنبول للالتحاق بالجيش العثماني، فانضم إلى دورة في الكلية العسكرية، وحصل على رتبة ضابط، ومارس عمله كقائد لوحدة تمركزت في أزمير، غير أنه لم يخض أية عمليات قتالية تذكر[23].

هناك في تركيا، تبلورت ثقافة الحاج أمين ورسخت شخصيته، حيث تعرف مباشرة على سياسة التتريك، والتقى نخبة من الضباط القوميين العرب في مقدمتهم ضباط عراقيون سوف يلتقي بهم ثانية لدى مشاركته في حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق عام 1941. وإذ أصابه مرض ما، غادر إلى القدس ولم يعد. ويبدو أن عدم عودته لتركيا

قد تمت هذه المرة بمحض إرادته، حيث التحق في عام 1917 بثورة الشريف حسين[24]. وكان ما أقدم عليه الحاج أمين قرارا جريئا في ضوء أن الرأي العام المسلم في فلسطين، وبخاصة على الصعيد الجماهيري، كان في أغلبيته مؤيدا للدولة العثمانية الإسلامية[25]. فقد كان على الحاج أمين في ذلك الحين أن يختار بين الولاء للإسلام السياسي والولاء للعروبة، فاختار العروبة. لكن عروبة الحاج أمين لم تكن عروبة علمانية على النحو الذي كان يدعو إليه قسم كبير من دعاة القومية العربية، بل رأى، وعلى النحو الذي نشأ عليه، أن الإسلام مكون أساسي لا ينفصل عن العروبة والسياسة[26].

وعلى الرغم من تدينه الشديد، وميله نحو التزمت الديني فقد كان منفتحا ودمثا. لذلك أحبه المسيحيون الفلسطينيون وانضم الكثير منهم إلى حزبه الذي شكله جمال الحسيني في عام 1935 –الحزب العربي. وقد يكون ذلك التوجه أحد ثمار نشأته في القدس حيث تنتصب الكنائس إلى جانب الجوامع بأمن وسلام، أو نتيجة ثقافة إسلامية منفتحة على "أهل الذمة"، إضافة إلى الأثر الذي قد تكون دراسته في مدرسة الفرير الفرنسية قد خلفته فيه. إلى جانب ذلك، فهو قد التزم منذ تبنيه مبدأ الوطنية الفلسطينية، التزم بعدم التمييز بين مسلم ومسيحي في جبهة النضال ضد الصهيونية، وبخاصة أن المسيحيين الفلسطينيين، والأورثودكس منهم بشكل خاص، كانوا من أوائل من تنبه في فلسطين لمخاطر الصهيونية[27]. هذا بالإضافة إلى أنهم يعتبرون أنفسهم عربا ويشكلون أقلية في المجتمع، ولا توجد لهم أية تطلعات سياسية خاصة بهم. ولا يمكن إغفال أن أول نشاط سياسي مارسه الحاج أمين في القاهرة، هو تشكيل جمعية مناهضة الصهيونية بالتعاون مع طلاب فلسطينيين مسيحيين.

أما بالنسبة لليهود، فعلى الرغم من وجود يهود في القدس، ولابد أنه التقاهم في طفولته، فهو لم يعرفهم منذ بداية وعيه إلا كمستوطنين يتطلعون إلى هدم الحرم الشريف لإقامة هيكلهم على أنقاضه، أو يسعون للاستيلاء على الأرض. بل إن والده كان أحد أوائل الفلسطينيين الذين ناهضوا الهجرة اليهودية وترأس منذ عام 1897 لجنة لمقاومة بيع الأراضي لليهود ظلت فاعلة إلى حين اندلاع الحرب العالمية الأولى[28]. وقد تمسك بعد ذلك بفكرة أن الصهيونية حركة دينية هدفها استرجاع الهيكل، وأكد على ذلك بقوله "إنهم رفضوا إقامة وطن قومي لهم في أماكن أخرى من العالم"[29]. فعلى الرغم من أن الحاج أمين كان منذ شبابه يكتب وينشر المقالات السياسية حول الصهيونية ومخاطرها، فإن استيعابه لأبعاد مخاطر الصهيونية وأهدافها التي تتجاوز البعد الديني "كان تدريجيا"[30]. كما أنه لم يستوعب مدى الهوة السياسية والاقتصادية والتكنولوجية التي

تفصل بين المستوطنين اليهود والفلسطينيين، ولذلك، فهو لم يكرس موقعه ونفوذه للعمل على تجاوز تلك الهوة، "وجعل النضال الفلسطيني أكثر فاعلية"[31].

بخلاف الحاج أمين، لم تلعب العائلة بانتمائها الإثني والعقائدي دورا حاسما في حياة ياسر عرفات. فإلى جانب التطورات الاجتماعية والسياسية العامة التي حدثت في المنطقة مابين فترتي طفولة وشباب الزعيمين، حيث ولد ياسر عرفات عام 1929، أدت ظروف النكبة بأبعادها الاجتماعية والثقافية إلى تراجع أهمية المكانة التي احتلتها عائلات النخبة في المجتمع الفلسطيني. فخلال السنوات التي سبقت النكبة، والتي شملت سنوات طفولة وشباب ياسر عرفات، اعتز عرفات بقرابته لعائلة الحسيني، سواء من خلال أمه التي انتمت لفرع قريب جدا من عائلة الحسيني أو لعائلة القدوة التي يذكر بأنها تشكل فرعا بعيدا من فروع تلك العائلة، كما اعتز بأن يكون قريبا للحاج أمين ولعبد القادر الحسيني، واعتبر نفسه حسينيا في فترة ما[32]. غير أن ياسر عرفات ما لبث أن تمرد بعد وقوع النكبة على قيمه السابقة، وحين توجه للتسجيل في جامعة القاهرة عام 1951، أحجم عن كتابة أي لقب عائلي، مكتفيا باسم "ياسر محمد عرفات"، بدلا من اسمه الأصلي، محمد عبد الرؤوف عرفات القدوة، الذي كثيرا ما كان يضاف إليه لقب الحسيني[33].

وعلى العكس من الحياة العائلية المستقرة التي عاشها الحاج أمين، وما تبلور لديه من قناعات ثقافية في إطارها، اتسمت ظروف عرفات العائلية بالاضطراب والقلق، سواء بسبب وفاة أمه وهو طفل صغير، ثم زواج والده لأكثر من مرة، أو بفعل التنقل المتواصل بين القاهرة وغزة والقدس بسبب طبيعة أعمال والده التجارية أو غير ذلك من الأسباب. وعلى الرغم من أن ياسر عرفات كان يرفض الحديث عن سنوات طفولته وشبابه المبكر، فقد وصف طفولته بأنها "طفولة غير سعيدة"[34]. كما أن والده لم يكن موسرا وإن لم يكن محتاجا[35].

كذلك اتسمت طبيعة دراسته الابتدائية والثانوية بعدم الانسياب أو الاستقرار، حيث اضطر إلى الانتقال من مدرسته في القاهرة إلى مدرسة في غزة، ثم إلى أخرى في القاهرة. وعلى أي حال، لم يكن ياسر عرفات يحب المدارس. ويذكر أنه كثيرا ما كان يهرب في القاهرة من المدرسة ليذهب للقاء شيخ يعلمه الدين، ويروي له قصص العرب والمسلمين وحروبهم ومعاركهم[36]. كما كان يهرب في غزة للقاء رجل مثقف لكي يحكي له قصص الحضارة والعقائد والإيديولوجيات الغربية[37]. وكثيرا ما كان يقوم بأعمال غريبة، منها أنه عمل مرة موزعا للشاي في مجلس الشعب المصري[38].

ولا يعني هذا أن ياسر الطفل والشاب، قد أهمل الدراسة. فالحقيقة هي أن أهله ومعلميه ومعارفه قد اكتشفوا في وقت مبكر ما امتلكه ياسر من قدرة عقلية حسابية وتسجيلية تمكنه من حفظ كل ما يسمع أو يرى فورا. فحين حفظ القرآن بسرعة كبيرة في طفولته، قال الشيخ بأن ياسر طفل فذ مؤهل بفضل الدم الحسيني الذي يجري في عروقه لأن يصبح علامة دين ذا شأن كبير. وبعد أن تجلت تلك القدرة في أمور أخرى، كحفظ معادلات الجبر فور إلقاء نظره عليها، قيل بأنه سيكون له شأن كبير في أي مجال[39]. غير أن تلك القدرة لم تشمل قواعد اللغة والكتابة[40]. وبعد أن أنهى دراسته الثانوية، رغب له والده دراسة الطب، غير أنه اختار الهندسة[41].

ولم يكن ياسر الشاب منتظما بالدوام أثناء دراسته الجامعية، فقد كان كثير الانشغال بأشياء أخرى، في مقدمتها التدريب العسكري، والقتال في قناة السويس وغير ذلك من الأعمال ذات العلاقة، حيث ما لبث أن أصبح خبيرا بالمتفجرات. وإذ شهد اندلاع المواجهات في فلسطين عام 1947 فور صدور قرار التقسيم، يقول ياسر عرفات: "أقسمت أن أكرس حياتي لتحرير فلسطين"[42].

تعرف ياسر عرفات مبكرا على جماعة الإخوان المسلمين في القاهرة، وذلك من خلال والده الذي كان على علاقة بهم. ونمت تلك العلاقة بين ياسر الشاب والجماعة، واستمرت إلى أواخر الخمسينيات. وكان ذلك أول تأثر لياسر في مجال الثقافة السياسية. غير أنه كان يقول بأنه لم يكن معنيا بتعاليمهم، باستثناء دعوتهم للجهاد وحمل السلاح[43]، فاستفاد منهم في مجال التدريب العسكري والتزود بالأسلحة. غير أنه رفض الانضمام إليهم، وهو ما أكده صلاح خلف أبو إياد لاحقا[44].

لقد شكل ياسر عرفات ثقافته العامة والسياسية فيما بعد، من الحياة العملية المباشرة، وبفضل ما تمتع به من قدرات عقلية أتاحت له تجميع مخزون واسع من الثقافات والإيديولوجيات التي تمكن بحسه السياسي أن يتعامل معها من غير أن يلتزم بأي منها. هكذا تطور عرفات إلى صديق للقوميين واليساريين والماركسيين والإسلاميين وأتباع كل العقائد والمذاهب والفلسفات الأخرى أيا كانت. وكانت انتخابات اتحاد طلاب فلسطين في القاهرة عام 1951أول تمرين له في هذا المجال[45] وعلى الرغم من تدينه وإيمانه الشديدين، فقد تمكن، بعد الانخراط في الحياة السياسية المباشرة وتزعمه لحركة فتح ثم منظمة التحرير الفلسطينية، من تطوير نفسه إلى سياسي محترف، واعتماد ما يمكن تسميته بالليبرالية السياسية والاجتماعية. فقد أقام عرفات علاقات عربية وإسلامية ودولية مختلفة شملت اليهود الذين يقبلون بالتعامل معه، ودعا يهودا لحضور جلسات

المجلس الوطني الفلسطيني وأعلن عن اعتباره لهم أعضاء في المجلس، حيث كان ينسعى لبلورة مفهوم للهوية الوطنية الفلسطينية يقوم على أساس اعتبار أن هناك حقا لأي يهودي حمل الجنسية الفلسطينية قبل عام 1948، أو لأي يهودي آخر يقر بالحقوق الوطنية الفلسطينية، في أن يكون فلسطينيا ومواطنا في الدولة الفلسطينية. وإذا جاز لنا وصف ياسر عرفات بالبراغماتي السياسي الذي أخضع الثقافة للسياسة، يبدو الفارق الكبير بينه وبين الحاج أمين الذي أخضع السياسة للثقافة.

3- مصادر القوة:

صعد الزعيمان إلى موقع القيادة بفعل العديد من العوامل التي اختلفت في بعضها وتشابهت في بعضها الآخر، وتميزا بقدرتهما على الاحتفاظ بموقعيهما على الرغم من الأجواء العاصفة التي هيمنت على الساحة الفلسطينية في عهد كل منهما.

لعبت العائلة دورا رئيسا في صعود الحاج أمين، وذلك بفعل السمة التقليدية للمجتمع الفلسطيني والقيم السائدة فيه، وبفعل الاحترام الذي حمله المجتمع لعائلة الحسيني تحديدا بسبب نسبها وإشغالها أعلى المناصب الدينية في البلاد.

غير أن شعبية الحاج أمين فاقت مكانة الذين سبقوه من عائلته في المناصب الدينية، وذلك بفعل نشاطه السياسي الذي مارسه مبكرا قبل تسلمه أية مواقع دينية أو سياسية، وذلك منذ عودته إلى فلسطين في أوائل عام 1917، حين بدأ بإقناع الفلاحين للانضمام لجيش الأمير فيصل[46] . ثم تأسيس النادي العربي في عام 1918، بهدف الدعوة لوحدة فلسطين مع سورية[47].

وقد تميز الحاج أمين أيضا عن بقية أفراد عائلته بقدراته الخطابية وباتجاهه للانخراط في حياة الفلاحين في قراهم، وهو أمر لم يعتد الفلاحون عليه من قبل. ومع وصول أنباء إعلان بلفور في أوائل عام 1919، ازدادت حركة الحاج أمين في المدن والقرى، كما أخذت شعبيته بالتصاعد في عام 1920، حين أصدر الإنجليز أمرا بالقبض عليه والحكم عليه غيابيا بالسجن لعشر سنوات، وذلك بعد الخطاب الذي ألقاه في الجماهير المحتشدة بمناسبة موسم النبي موسى حاملا صورة الأمير فيصل على صدره وصائحا فيهم:"هذا هو ملككم"[48] .

غير أن شعبية الحاج أمين ما لبثت أن شهدت صعودا دراماتيكيا، ليس فقط بفعل تعيينه مفتيا لفلسطين بعد صدور العفو عنه في عام 1921، وإنما بفعل انتخابه لمنصب رئيس المجلس الأعلى لشؤون الأوقاف الذي أنشأته حكومة الانتداب البريطاني في عام 1923، والذي ربطت به مهام ومسؤوليات عديدة أخرى كالمحاكم الشرعية والمدارس

الدينية ودور الأيتام وغيرها، إلى جانب المسؤولية عن أموال الوقف الإسلامي[49]. فقد تمكن الحاج أمين من خلال ذلك المجلس من تكوين قاعدة صلبة له في الريف، وقام بتعيين جيش من الخطباء والقضاة والموظفين، بحيث أصبح المجلس أشبه بحكومة محلية أو بدولة داخل دولة. و من خلال رئاسة المجلس الأعلى ومركز الإفتاء، أصبح الحاج أمين يدير نضاله السياسي بين صفوف الجماهير تحت عباءة الدين، وإذ تمكن مع اندلاع أزمة حائط البراق في عام 1928 من انتزاع قرار بريطاني ينص على "الحفاظ على الوضع القائم فيما يتعلق بحائط البراق"، والذي اعتبر في صالح العرب، تحول الحاج أمين إلى الزعيم الفلسطيني غير المنازع على صعيد الجماهير الفلاحي الفلسطينية التي كانت تشكل في ذلك الحين نحو 80% من سكان فلسطين المسلمين[50].

كان الدين هو الأداة الرئيسة التي تبناها الحاج أمين في مخاطبة جماهير الفلاحين، وتثقيفهم ضد المشروع الصهيوني، وذلك انطلاقا من قناعته بأن تلك الجماهير لا تدرك معنى الوطنية بشكل واضح على النحو الذي تعتنق فيه الإسلام بإيمان كبير، وتستجيب للنداءات الدينية بدون تردد"[51]. فهي لا تحتاج إلى برامج سياسية معقدة، وإذا ما استجابت لمفهوم العروبة فهي إنما تستجيب له بسبب أن النبي عربي. بل إن الحاج أمين كان يعتقد بأنه لا يمكن فصل الإسلام عن السياسة، وبأن الرموز الإسلامية يجب أن تستخدم لتوحيد العرب[52]. لذلك كانت لغته بسيطة يفهمها كل أمي: فليسقط الكافر، الجهاد، الحرب المقدسة. وهي اللغة التي عاشت هذه الجماهير عليها جيلا بعد جيل في إطار الثقافة والحكم الإسلامي لقرون طويلة[53]، ولم تبدأ بسماع ما يقال عن الوطنية والقومية إلا حديثا.

تواصلت شعبية الحاج أمين بقوة غير منازعة على الرغم من تبلور معارضة قوية نسبيا له من قبل خصومه في حزب الدفاع بشكل خاص، واختير في عام 1936 لأول منصب سياسي له كرئيس للجنة العربية العليا التي تشكلت بعد بدء الإضراب العام. وعلى الرغم من الهجوم الشديد عليه في كثير من الأحيان من قبل مختلف أطياف المعارضة بفعل سياساته المهادنة لبريطانيا حتى ذلك الحين، فإن شعبيته ما لبثت أن صعدت ثانية بعد أن أخذ يدعم المقاتلين ماليا ومعنويا ويتخذ مواقف أشد نقدا للسياسة البريطانية علنا، والتي توجها بدعوته للجهاد قبيل فراره من البلاد في 10/15/ 1937[54]. وعلى الرغم من تراجع تلك الشعبية بعد انهيار الثورة في عام 1939، فقد عادت إلى الصعود ثانية بعد تحالفه مع ألمانيا، ثم سفره إليها، ومواظبته على التحدث إلى الشعب عبر الإذاعة من برلين، وأصبح شعار "حي حي، الحاج محمد هتلر جاي" يتردد،

مع "سيف الدين الحاجامين". غير أنه بعد عودته من ألمانيا، وتشكيله حكومة عموم فلسطين في1/10/ 1948، لم يجد من الجماهير ما يكفي لدعم تلك الحكومة أو للدفاع عنه حين أجبر على مغادرة غزة.

أما ياسر عرفات، فعلى الرغم مما تلقاه من تلقين في طفولته وشبابه المبكر بأنه أعلى مكانة من الآخرين بسبب انتمائه لعائلة الحسيني، فهو قد أصبح على يقين بعد نكبة عام 1948 أن عائلة الحسيني قد انتهت، وأن عليه أن يبحث عن مصادر قوة أخرى.

أدرك عرفات منذ البداية، مدى أهمية التأييد الجماهيري لأي سياسي يتطلع إلى الزعامة. كما أدرك أن مادة مثل ذلك التأييد متوفرة في المخيمات الفلسطينية التي تضم مئات الآلاف من اللاجئين المقهورين الذين ينتظرون بفارغ الصبر من يستطيع انتشالهم من ذلك الواقع وإعادتهم إلى وطنهم. وإذ لم يكن معنيا بأن تقتصر حركته على نخبة سياسية مهمتها العمل على إقناع الأنظمة العربية بشن حرب نظامية شاملة على إسرائيل، اتجه إلى المخيمات في الأردن وسورية ولبنان. وكان السحر الذي حمله معه إلى تلك المخيمات هو مبدأ الكفاح المسلح والبندقية التي ستعيد للشعب المنكوب كرامته وأمله في تحرير وطنه والعودة إليه. هكذا انغمر بنفسه في خضم تلك المخيمات، زارعا في كل نفس أملا جديد، قائلا لهم بأنهم هم أنفسهم الذين سوف يستعيدون وطنهم، مستخدما لغة لا تقل بساطة عن اللغة التي خاطب الحاج أمين جماهيره بها، وإنما بمفردات جديدة: العودة، الفدائي، البندقية ثم الكلاشينكوف، مناشدا الأمهات قبل الآباء أن يعطوه أولادهم لكي يحولهم إلى فدائيين، منخرطا في نسيج حياتهم اليومية و في حل مشاكلهم إلى حد عقد الزيجات والتطليق وإصدار الأحكام[55]. وما إن وقعت معركة الكرامة وانعقد لُه النصر فيها عام 1968، حتى أصبح اسم أبو عمار على كل لسان، وفي قلب كل لاجئ فلسطيني، وشكل الحب والإيمان درعا لزعامته الطويلة[56]. وقد ظلت البندقية التي أحبها منذ طفولته وأعاد من خلالها إحياء الشعب الفلسطيني، هي السحر الذي يستقطب الحب والتأييد الجماهيري له حتى آخر لحظة في حياته.

أما مصدر القوة الرئيس الآخر الذي أدرك ياسر عرفات أهميته، فهو المال. وإذ لم يكن عرفات ينتمي لعائلة ثرية ولا يتمتع بمنصب شبيه بمنصب رئيس المجلس الأعلى للأوقاف، تحتم عليه أن يبحث عن مصادره الخاصة لتوفير المال. وجد ضالته حين توفرت له فرصة العمل كمهندس في الكويت في أواخر الخمسينيات. ومن خلال جده ونشاطه وذكائه وقدرته على اقتناص الفرص المدرة للربح، تمكن عرفات خلال فترة قصيرة من توفير مبلغ قدر بنحو خمسين ألف دولار، اعتبر في حينه ثروة كبيرة، رصده

كله لتأسيس حركة فتح وشراء السلاح للبدء بالعمليات العسكرية[57]. وبعد أن نضبت تلك الأموال، لم يعدم عرفات وسيلة لإقناع الأثرياء من زعماء وغيرهم بتقديم الدعم المالي لفتح والمنظمة، منها أنه تمكن في أواخر الستينات من إقناع زعماء الدول العربية باستقطاع نسبة 5% من رواتب الموظفين الفلسطينيين العاملين في دولها، لصالح منظمة التحرير الفلسطينية. وكان واضحا منذ ذلك الحين، أن ياسر عرفات لن يتنازل مطلقا عن حقه في أن يوقع على أي قرار بالصرف، وربط بشخصه كل المساعدات والهبات لجماهير الشعب، وأصبح كل إنسان محتاج لا يلجأ طلبا للمساعدة إلا إلى أبو عمار، واتسعت دائرة طالبي المساعدة لتشمل أثرياء وانتهازيين ومتسلقين كثيرين[58].

أما مصدر القوة الثالث الذي تمسك به ياسر عرفات، بعد البندقية والجماهيرية والمال ، فهو مبدأ الوحدة الوطنية. وتشكل معركة تزعمه لاتحاد الطلاب الفلسطينيين في القاهرة عام 1951 أول تمرين عملي له في هذا المجال، وهو تمرين سخر فيه ياسر عرفات كل ديناميكيته الفكرية و وما تبلور لديه من عقلية براغماتية فوق إيديولوجية للفوز برئاسته، وذلك بإقناع كل فئة سواء كانت إسلامية، قومية، شيوعية أم ليبرالية، بجدوى انتخابه، لأنه الوحيد الذي يستطيع أن يقيم الوحدة ويصونها داخل الاتحاد[59].

ومنذ أن أصبح رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية عام 1969، تمسك بمبدأ ضم أي فصيل فلسطيني مهما كان ثقله أو حجمه الحقيقي في الساحة الفلسطينية إلى المنظمة[60]، وكان من شأن ذلك أن يفسح له مجالا أكبر للمناورة ويحول دون تشكل قوى منافسة له. وكان يتذرع دائما إذا ما جودل في ذلك باستدعاء تجربة الحاج أمين، قائلا: بأن الانقسام بين الحسينية والنشاشيبية، والذي قسم الساحة بين مجلسيين ومعارضين، كان أحد الأسباب الرئيسة للهزيمة التي لحقت بالفلسطينيين[61]. وعلى الرغم من اكتشاف أبو عمار لاحقا أن مبدأ الوحدة الوطنية بشكل قيدا عليه ويحرمه من حرية اتخاذ القرارات، فقد كان يعود إلى التمسك به إذا ما تجاوزه في وقت ما، وذلك على النحو الذي حدث لدى اندلاع الانتفاضة الأخيرة عام 2000.

4- الرؤية السياسية:

كانت الوحدة بين سورية ولبنان وفلسطين، هي الرؤية السياسية السائدة بين القوميين العرب، ومن بينهم الحاج أمين الحسيني، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى. ولا يتضح كيف ارتأى الحاج أمين مصير المشروع الصهيوني في فلسطين في إطار مثل تلك الوحدة، وبخاصة أن بعض الوحدويين السوريين واللبنانيين لم يكونوا يريدون ضم فلسطين إلى الوحدة السورية اللبنانية. وكان ذلك لعدة أسباب، منها : التخوف من غلبة

نسبة المسلمين على نسبة المسيحيين في الدولة الموحدة، وتطلع البعض إلى الاستفادة من رؤوس الأموال اليهودية لتنمية الدولة السورية اللبنانية، والأخذ بما عبر عنه الأمير فيصل في خطابه أمام مؤتمر الصلح في باريس في 1919/2/16، والذي طالب فيها بمنح كل بلدان المشرق العربي استقلالها، ماعدا فلسطين، "التي ينبغي أن يبت في مصيرها من قبل كافة الأطراف المعنية نظرا لطابعها الدولي"[62].

بعد تراجع مسألة الوحدة وانتقال الحاج أمين إلى صفوف الوطنيين الفلسطينيين، اعتنق رؤية الدولة العربية الإسلامية في فلسطين بحدودها التي وضعتها بريطانيا. ووفقا لهذه الرؤية، فهي دولة عربية إسلامية الهوية، وقد تضم أقلية يهودية وأقلية مسيحية كأهل ذمة، أو على النحو القائم في الدول العربية الأخرى. وقد عبر عن هذه الرؤية في عدة مناسبات، منها: تأكيده للملك عبد العزيز بن سعود لدى زيارته له في 1937/2/6 ، على أنه" يريد إقامة دولة عربية إسلامية"[63]، ثم شهادته أمام لجنة بيل الملكية في1937/1/12، والتي قال فيها:" ليس من الممكن أن يحشر شعبان مختلفان في كل شيء في موطن واحد ومحاولة المستحيل لا يمكن أن تنجح"[64]. وفي رده على سؤال اللجنة:"بما أنك تطالب بحكومة وطنية، ماذا ستفعل بنحو 400 ألف يهودي موجودين في فلسطين؟" قال:"لن تكون هذه أول مرة يعيش فيها يهود في ظل حماية دولة عربية"، وحين سؤل نفس السؤال بصيغة أخرى: "إذن أنت تعتقد أنه يجب إخراج بعضهم بطريقة رحيمة أو مؤلمة وفقا للظروف؟"، رد قائلا: "يجب ترك كل هذا للمستقبل"[65].

فعلى مدى الفترة الممتدة من أوائل العشرينات ولغاية عام 1937، ظل الحاج أمين يعتقد أنه قادر على إقامة مثل هذه الدولة من خلال التعاون مع بريطانيا، والعمل على تغيير سياستها الخاصة بإعلان بلفور. وكان مقتنعا بأن بريطانيا صديقة للعرب بفعل الحلف الذي تم بينها وبين الشريف حسين وأولاده منذ عام 1916، وبأن إصدار إعلان بلفور قد تم نتيجة للنفوذ السياسي والمالي الصهيوني، وأنه يمكن للعرب تغيير تلك السياسة[66] .

ولأجل تعزيز الأمل بقيام مثل هذه الدولة، سعى بشدة خلال الفترة المذكورة من أجل إقامة مجلس تشريعي تمثيلي وفق النسب السكانية القائمة للعرب واليهود أو بين المسلمين والمسيحيين واليهود[67]، حيث كانت نسبة اليهود ضئيلة خلال العشرينيات. وظل يفاوض على المجلس التشريعي حتى عام 1936، على الرغم من أن نسبة اليهود كانت قد ارتفعت. كما رفض الاستجابة للدعوات المطالبة باللجوء إلى السلاح لإرغام بريطانيا على تغيير سياستها، وذلك لاعتقاده بأن الوقت لم يحن بعد لذلك، وأن

الفلسطينيين غير قادرين بمفردهم على مجابهة بريطانيا[68]. وظل يدعو إلى اعتماد الطرق السلمية واللجوء إلى الوسائل المشروعة في الاحتجاج[69]. كما ركز جهوده على تحشيد الرأي العام على كل من المستويين العربي والإسلامي من أجل ممارسة الضغط علي بريطانيا لتغيير سياساتها[70].

غير أنه مع قدوم لجنة بيل، وما رافقها من تحركات، تصاعدت مخاوفه من احتمال وجود مشروع لتقسيم فلسطين، وهي مخاوف أخذت تراوده منذ قيام بريطانيا بإنشاء إمارة شرق الأردن في عام 1921[71]. ومع صدور توصية اللجنة بالتقسيم في تموز 1937، رجحت مخاوفه السابقة.

غير أنه، وعلى الرغم من تراجع بريطانيا عن فكرة التقسيم، وإصدار الكتاب الأبيض في عام 1939، الذي نص على قيام دولة ديمقراطية واحدة للعرب واليهود في فلسطين، وهي دولة شبيهة بما أراده الحاج أمين، فقد رفض تلك الدولة ، كما سيرد لاحقا. ويبدو أنه كان يعتقد بأن انتصار ألمانيا في الحرب القادمة، سوف يؤدي إلى طرد اليهود من فلسطين ، وإقامة الدولة العربية الإسلامية. فخلال فترة لجوئه إلى ألمانيا بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، حصل على وعد بإلغاء مشروع الوطن القومي اليهودي، بعد أن تنتصر ألمانيا في الحرب[72].

وعلى الرغم من هزيمة ألمانيا في الحرب، وانهيار حلمه بإلغاء المشروع الصهيوني، تمسك الحاج أمين بموقفه. ومع صدور قرار التقسيم في 29/11/ 1947، رفض الحاج أمين مشروع الأغلبية الذي أوصى بالتقسيم، كما رفض مشروع الأقلية الذي طالب بدولة فيدرالية مؤلفة من كانتونات، المقدم من الدول العربية[73]، وأصدرت الهيئة العربية العليا التي يرأسها، بيانا طالبت فيه بدولة "عربية، ديمقراطية تضمن لجميع مواطنيها حقوقا متساوية وتصون الحقوق الشرعية والمصالح لجميع الأقليات"[74]، ولم ترد صفة إسلامية في النص، كما ورد فيه تأكيد أكثر من أي وقت مضى على الديمقراطية. وقد يكون ذلك قد تم بفعل تأثير مستشاريه بهدف جعل البيان أقل حدة وأكثر تقبلا لدى المجتمع الدولي.

وقد تمسك الحاج أمين حتى وفاته في 4/7/ 1974، بضرورة القضاء على الدولة اليهودية حربا، إذ قال في مقابلة أجريت معه ونشرت في مجلة "شؤون فلسطينية" بعد وفاته:"ليس هناك إلا عدم الاعتراف والقتال.... إن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة[75].

حين سؤل ياسر عرفات عن رأيه في ما حدث خلال عامي 1947و1948، هاجم الأنظمة العربية بشدة ولم يهاجم الحاج أمين الحسيني، وقال: "إذا كانوا غير مستعدين

الرئيس عرفات والحاج امين الحسيني ...

للحرب، فلماذا لم يقبلوا بقرار التقسيم...إنها خيانة[76]. وحين بدأ عرفات يفكر في رؤية سياسية خاصة به، لم يجد ذلك سهلا، ولم يعثر في الساحة العربية على ما يمكن الاستفادة منه. فالقوميون العرب الذين ظهروا بعد النكبة كانوا يرفعون شعار"الوحدة العربية طريق تحرير فلسطين" الذي لم يأخذ عرفات الواقعي به كشعار جدي، وهو الشاهد على خيبات حرب السويس والوحدة المصرية –السورية وسياسة المحاور العربية المتنافسة، والصراع بين محوري حزب البعث العربي في العراق وسورية.كما لم يكن القوميون العرب يفكرون بالكيانية الفلسطينية التي أصر الحاج أمين يصر عليها قبل وبعد النكبة، ويعتبرونها ضربا من الخيال وخيانة قومية[77].

لم يكن أمام ياسر عرفات في ظل تلك الأجواء السياسية، سوى أن يقلب الطاولة في وجوه كل هؤلاء، وأن يرفع شعار " تحرير فلسطين هو الطريق إلى الوحدة"[78]، وأن يلوذ بمبادئ الحاج أمين المتمركزة في الكيانية الفلسطينية، والكفاح المسلح وتوريط الدول العربية في حرب لا يريدون خوضها[79].

ولكي يحول فكرة الكيانية الفلسطينية إلى هدف استراتيجي، كان لابد له من اعتماد سياسيات واستراتيجيات تتفق وتلك الفكرة، فأخذ يدعو منذ أواخر الخمسينات في نشرة "فلسطيننا"، التي أنشأها كأداة إعلامية لحركة فتح الناشئة، إلى استرداد الضفة الغربية من الأردن وقطاع غزة من مصر لإقامة حكومة فلسطينية تقوم بمهمتين، هما: مهمة "استعادة الهوية الفلسطينية للفلسطينيين، وذلك بمنحهم جواز سفر بدلا من وثيقة السفر، ورعاية مصالح الفلسطينيين داخل البلاد العربية على الأقل، ثم مهمة الكيان الثوري الذي يحقق انطلاق الثورة....فتحمي الدول العربية حدوده وتقدم المساعدة للحكُم الوطني المتمثل في هذا الكيان"[80].

وإذ لم يتمكن عرفات من المضي قدما في وضع استراتيجيات استرداد الضفة الغربية من الأردن، حيث لم يكن له أي وزن سياسي في ذلك الحين، فقد صب كل جهده على عملية إحياء الشعب الفلسطيني، والإصرار على البدء الفوري بالعمل العسكري على الرغم من معارضة بعض أعضاء اللجنة المركزية لفتح[81].

ولم تؤثر حرب 1967 عليه سلبا ، وقال لاحقا: بأنه اعتبرها "نعمة" وبأنه شعر بأنها تشكل "البداية وليس النهاية"، وذلك لأن الدول العربية المجاورة التي أصبحت محتلة الأراضي مثل فلسطين، "سوف تضطر للقتال لاستعادة أراضيها، وإلا فإن شعوبها ستثور عليها، وسوف يبلغ النضال الفلسطيني ذروته في هذا المجال"، وواصل عمله وباندفاع أكبر"[82].

غير أن ضياع الضفة الغربية من الأردن باحتلال إسرائيل لها قبل أن يتمكن من استردادها، ظل جرحا مباشرا في قلب أبو عمار. هكذا توجه فور انتهاء الحرب سرا إلى الضفة الغربية في محاولة لتحويلها إلى "البحر الذي سيسبح فيه سمك المقاومة"، وفق لغة ماوتسي تونغ[83]. ولكنه لم ينجح في مهمته[84].

في أواخر الستينات، وأمام الضغوط التي مورست عليه عربيا، وبخاصة من جمال عبد الناصر، تبنى عرفات ما وصف بالهدف الاستراتيجي، أو ما يمكن تسميته بالرؤية السياسية بعيدة المدى، والمتمثلة في دولة ديمقراطية تشمل العرب واليهود في كل فلسطين. تضمنت تلك الرؤية قدرا كبيرا من السذاجة السياسية، وبخاصة في ما يتعلق بتصور أن عددا كبيرا من اليهود سوف ينضمون لحرب التحرير الشعبية التي ستقضي على إسرائيل الدولة، كما تميزت عن رؤية الحاج أمين العربية الإسلامية في أنها لا تتحدث عن نسب سكانية[85]، وإن تكن وصفت بأنها دولة عربية، وذلك باعتبار أن "أغلبية اليهود الموجودين في الدولة اليهودية هم يهود عرب"[86]. في الآن ذاته، شكلت تلك الدولة قفزة في الفكر السياسي الفلسطيني وابتعادا عن المادة السادسة من الميثاق الوطني الفلسطيني في شأن مصير اليهود في فلسطين المحررة، التي نصت على أن"اليهود الذين كانوا يقيمون إقامة عادية في فلسطين حتى بدء الغزو الصهيوني لها يعتبرون فلسطينيين"[87]، والتي كانت بقية الفصائل الفلسطينية متمسكة بها. غير أن تلك الرؤية ما لبثت أن طويت في الأدراج.

إذا كان ياسر عرفات قد اعتبر حرب حزيران بداية وليست نهاية، فقد وضعت حرب أكتوبر 1973 نهاية لكل آماله في شأن القاعدة المنطلق لتحرير كل فلسطين، ولم تعد المسألة بالنسبة له متعلقة بخيار التحرير الكامل أم تحرير الضفة والقطاع، وإنما بين تحرير الضفة باعتبارها جزءا من الأردن أم وطنا صغيرا للفلسطينيين، واستقر رأيه على أن تكون الضفة الغربية وقطاع غزة وطنا صغيرا للفلسطينيين، وهو ما لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال التفاوض مع إسرائيل، للربط بين الإقليمين على أقل تقدير. ومنذ ذلك الحين، تبلورت رؤية ياسر عرفات إلى رؤية سياسية واضحة وبسيطة وغير مستحيلة: دولة فلسطينية على نحو 20% من الوطن الفلسطيني. وأمام تشدد الفصائل الفلسطينية وتمسكها بهدف التحرير الكامل، تمكن ياسر عرفات في دورة المجلس الوطني لعام 1974، من انتزاع برنامج النقاط العشر، الذي نص على إقامة "سلطة وطنية" على أي شبر يتم تحريره[88]. ولم يكن ذلك البرنامج سوى مقدمة لما تم إقراره في الأعوام

اللاحقة، 1977، 1979 ،ثم 1988، وعلى نحو تدرجي، في شأن الدولة الفلسطينية المستقلة على الأراضي المحتلة عام 1967.

وقف عرفات منذ عام 1974 أمام معضلة صياغة استراتجياته من أجل الوصول إلى تحقيق رؤيته السياسية. ويمكن رصد بعض تلك المعضلات بما يلي:

أولا- معضلة الانتقال على الصعيد الشعبي ولفصائلي الفلسطيني من هدف التحرير الشامل، الذي وضعته فتح ، ومنظمة التحرير الفلسطينية بفصائلها المختلفة في رأس أولياتها، إلى هدف تحرير جزء صغير من فلسطين.

ثانيا- معضلة الكفاح المسلح كوسيلة وحيدة للتحرير أم كأحد الوسائل أم استبعاده نهائيا.

ثالثا- معضلة الدخول في عملية التسوية السياسية التفاوضية بعيدا عن الكفاح المسلح.

رابعا- معضلة التعامل مع المرحلية كأساس سياسي-إجرائي لأية تسوية تفاوضية.

خامسا- معضلة اتخاذ القرارات على صعيد اللجنة التنفيذية والمجالس الوطنية.

سادسا- معضلة الحفاظ على الوحدة الوطنية في سياق الانقسام بين ما سمي باليسار واليمين.

سابعا- معضلة اللجوء إلى السلاح في حل الخلافات الداخلية والفلسطينية – العربية.

ثامنا- معضلة الاعتراف العربي والدولي بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا للشعب الفلسطيني.

تاسعا- معضلة الهيمنة العربية على القرار السياسي الفلسطيني.

عاشرا – معضلة التحرك في خضم الحرب الباردة والتعامل مع المشكلة التاريخية التي تمثلت في الحيلولة دون قيام دولة فلسطينية بسبب صراع القوى

أحدى عشرة – معضلة الشروط الأمريكية لمجرد الموافقة على بدء التباحث مع م.ت.ف.

اثنتا عشرة- معضلة الرفض الإسرائيلي للتفاوض مع م.ت.ف.

ثلاث عشرة- معضلة الرفض الفلسطيني للتفاوض مع إسرائيل. إلى غير ذلك من المعضلات.

حول ياسر عرفات كل تلك المعضلات إلى استراتيجيات للوصول إلى تحقيق رؤيته السياسية، فنجح في حل بعضها، بينما فشل في حل بعضها الآخر. واضطر إلى اتخاذ أصعب قرار في حياته: التوقيع على اتفاق إعلان المبادئ-أوسلو عام 1993، في سبيل العودة إلى أرض الوطن وتحقيق رؤيته السياسية التي حملها بشكل أو بآخر منذ أواخر الخمسينيات، حين طالب باسترداد الضفة الغربية وقطاع غزة من الأردن ومصر.

ولعل السؤال يظل قائما في شأن رؤية عرفات السياسية: هل كان ياسر عرفات يعتقد حقا في مرحلته السابقة على عام 1967، ثم في مرحلة ما قبل عام1974، بإمكانية تحرير فلسطين المحتلة عام 1948، أم كان هدفه غير المعلن هو استرداد الضفة الغربية وقطاع غزة من الأردن ومصر، واستعادة الهوية الوطنية الفلسطينية؟

5- القرارات السياسية وكيفية اتخاذها

على الرغم من تأثير الحاج أمين الحسيني في القرارات السياسية الفلسطينية التي اتخذت على مدى العشرينات والنصف الأول من ثلاثينات القرن الماضي بفعل تنامي نفوذه الديني، فإنه لم يصبح في موقع اتخاذ القرار السياسي إلا بعد أن انتخب رئيسا للجنة العربية العليا، التي تشكلت في 1936/4/25. وكانت فترة دوره السياسي المباشر قصيرة بشكل عام، غير أنها كانت فترة عاصفة على نحو استثنائي، شهد الحاج أمين فيها اندلاع الثورة الفلسطينية في 1936/4/21 [89]، واندلاع الحرب العالمية الثانية في 3/9/ 1939، وانتهاء الحرب بهزيمة ألمانيا عام 1945، وصدور قرار تقسيم فلسطين في 1947/11/29.

بعد صدور توصية لجنة بيل التي أوصت بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة عربية تشمل القسم الباقي من فلسطين وإمارة شرق الأردن، وذلك في 1937/7/7 ، اتخذ الحاج أمين قرارا استراتيجيا تمثل في التوقف عن سياسة التعاون مع بريطانيا والانتقال إلى حالة العداء السافر ضدها [90]، . وكان أول تجسيد لهذا القرار هو رفض توصية لجنة بيل [91] ، والانخراط في دعم الثورة التي اشتعلت ثانية فور صدورها، "وأصبحت نداءاته تذاع في الجوامع"[92] .

فبعد صدور تلك التوصية، اعتقد الحاج أمين أن بريطانيا، وبعد كل سنوات التعاون معها، أخذت تتواطأ مع الحركة الصهيونية من جهة، ومع الأمير عبد الله، على تقسيم فلسطين وإلغائها من الوجود، والقضاء على حركتها الوطنية. ولم يكن ذلك الإدراك نابعا من فراغ، وذلك بفعل عدة مؤشرات، منها قيام لجنة بيل في1937/1/3 بزيارة شرق الأردن"على الرغم من أن شرق الأردن غير مدرج في التفويض الخاص بعمل اللجنة"[93]، ثم سفر الأمير عبدالله إلى لندن في 5/5/ 1937 ومكوثه فيها لنحو شهر فيما كانت اللجنة تعد تقريرها، واستقالة راغب النشاشيبي والعضو الآخر لحزب الدفاع، ألفريد روك، من اللجنة العربية العليا في 1937/7/3، إلى جانب النشاط الظاهر للنشاشيبية ومؤيديهم قبيل صدور التقرير،باتجاه الترويج للأمير عبدالله ولمشروع التقسيم[94]. وقد تعززت هذه القناعة لدى الحاج أمين بعد أن عمدت حكومة الانتداب بعد

الرئيس عرفات والحاج أمين الحسيني . . .

يوم واحد من اغتيال نائب حاكم الجليل، لويس أندروز، في 1937/9/26، إلى حل اللجنة العربية العليا والمجلس الإسلامي الأعلى، ثم اعتقال ونفي أعضائها ومحاولة القبض على الحاج أمين بحجة الضلوع في الاغتيال، معتبرا ذلك قرارا بريطانيا بالقضاء على القيادة الوطنية[95].

على الرغم من ذلك، فإن فرار الحاج أمين، الذي وصل إلى لبنان في 1937/19/15، قد ابتعث ردودا متباينة. يقول أكرم زعيتر في هذا المجال: "وقد اختلف الإخوان هنا في الرأي حول هرب المفتي، فمنهم من قال:يفترض في المفتي ألا يغادر فلسطين، ولو كان مرابطا الحرم الشريف وليكن ما يكون! وأن أي أذى يصاب به هو ما يفترض أن تتعرض له الزعامة الوطنية، وأن ذلك من شأنه أن يذكي الثورة، ومنا من قال: ليست التضحية غاية في ذاتها، إنها وسيلة وإن الأجدى للقضية أن يفلت المفتي من أيدي الإنجليز، وأن يكون حرا بحيث يتزعم الحركة الوطنية من بعيد.."[96]. كما حاول الحاج أمين الدفاع عن فراره قائلا بأنه قد عرض على قادة الثورة أن ينضم إليهم ويقود الثورة من الجبال، وبأنهم رفضوا ذلك وقالوا : بأنهم لا يستطيعون حمايته وبأنه من الأفضل له ولهم أن يساعدهم من الخارج[97]. وبغض النظر عن كل تلك التبريرات، فإن فرار الحاج أمين واعتقال أعضاء اللجنة وعدم بروز أية قيادة وطنية محلية بديلة، قد أكد على ضعف الحركة الوطنية الفلسطينية وعدم قدرتها على الاتفاق على الأهداف الوطنية بسبب انشقاقها.

إذا كان رفض الحاج أمين لتوصية لجنة بيل في عام 1937، قد اتفق مع رؤيته السياسية الخاصة بدولة واحدة في فلسطين، وذات أغلبية سكانية عربية مسلمة، فإن رفضه للكتاب الأبيض الصادر عن الحكومة البريطانية في 1939/5/17، والذي أقرت فيه الحكومة البريطانية ، ولأول مرة منذ بدء الانتداب، بدولة واحدة لا تختلف كثيرا عما أراده الحاج أمين، قد جاء مخيبا لآمال الكثيرين"[98]. وكانت بريطانيا قد تخلت عن فكرة التقسيم في بيان رسمي أصدرته في 11/9 /1938، وذلك مع الدعوة إلى مؤتمر سان جيمس[99]. نص الكتاب الذي صدر بعد أشهر من المداولات التي شارك فيها أعضاء اللجنة العربية العليا وعدد من الزعماء العرب، على إقامة دولة فلسطينية واحدة للعرب واليهود معا في إطار حدود فلسطين الانتدابية، والتعهد بأن لا يتجاوز عدد اليهود فيها نسبة 30% في أي وقت قادم بدون موافقة الجانب العربي الفلسطيني[100]. وقد تم ذلك التحول الدراماتيكي في السياسة البريطانية، في سياق الإعداد لاحتمال اندلاع الحرب

العالمية الثانية التي ظهرت نذرها منذ عام 1938، والذي شمل إرضاء العرب بهدف صيانة مصالحها شرق الأوسطية.

لقد رفض الحاج أمين للكتاب المذكور على الرغم من موافقة أغلبية أعضاء اللجنة العربية العليا إن لم يكن جميعهم عليه[101]. وقد حاول الحاج أمين بعد ذلك تبرير موقفه بعدة أسباب مختلفة أهمها : تذرعه بأن قيادات الثورة في الداخل رفضت الكتاب وقالت: بأنها على وشك تحرير فلسطين[102] غير أن معظم أعضاء اللجنة العربية العليا أكدوا في حينه أن الحاج أمين قد اتخذ قراره هذا بشكل فردي مطلق، ولم يعر اهتماما لآراء أعضاء اللجنة أو لآراء الزعماء العرب. ويصف عزت طنوس ذلك التفرد بقوله: إن السبب هو"عقلية الجماهير المتعلقة بالحاج أمين"[103]، غير أن أحدا في فلسطين لم يكن ليعارض الحاج أمين لو قبل بالكتاب، وبخاصة أن حزب الدفاع برئاسة راغب النشاشيبي كان قد أعلن استعداده للتعامل مع الكتاب[104]. غير أن عزت طنوس يستدرك لاحقا:"... وأصبح واضحا لدينا أنه كان لديه مخطط آخر لمستقبل فلسطين، ولم يعرف أحد في ذلك الوقت أنه كان يبني مخططه على نصر الألمان النهائي أو على أي شيء آخر"[105].

ولعل المفارقة بالنسبة لمواقف وسياسات الحاج أمين، هي أن قراراته السياسية قد صبت منذ عام 1937، في صالح نقيض ما كان يريد. فإذا كانت شهادته أمام لجنة بيل عام 1937 قد خدمت سياسة التقسيم، فإن رفضه للكتاب الأبيض عام 1939 قد خدم أيضا سياسة التقسيم، وصب رفضه لقرار التقسيم في عام 1947 سياسة ضم الضفة الغربية للأردن.

تعلم ياسر عرفات الكثير من تجربة الحاج أمين المريرة. ولعل أهم تلك الدروس هي:

أولا- أن يحافظ على وحدة الحركة الوطنية الفلسطينية ، حيث رأى أن الانقسام الحاد بين المجلسيين والمعارضة، الذي حكم مسيرة الحركة الوطنية الفلسطينية في عهد الحاج أمين، هو الذي أدى في النهاية إلى انهيار الحركة الوطنية.

ثانيا- أن لا يقول لا للمشاريع والمبادرات التي يتم تقديمها عربيا أم دوليا، وأن يتعامل معها ويسعى لتطويرها بقدر الإمكان.

ثالثا- أن لا يتخلى القائد عن ساحة المعركة كما تخلى الحاج أمين.

رابعا- أن لا يخرج خالي اليدين على النحو الذي خرج فيه الحاج أمين.

غير أنه سوف يتضح لياسر عرفات أن مبدأ الوحدة الوطنية الذي تمسك به قد شكل في كثير من الأحيان قيدا على تحركاته ومناوراته واستراتيجياته، وحال بينه وبين اتخاذ القرارات التي يرتأيها كقائد سياسي، واضطره إلى اتخاذ قرارات لا تتفق ورؤيته السياسية واستراتيجياته. ولذلك فإن المرء سيفاجأ بأن ياسر عرفات، وإن يكن قد اتخذ ما لا يحصى من القرارات السياسية الثانوية، فهو لم يتخذ إلا قرارا استراتيجيا واحدا، وعلى نحو سري، بعيدا عن قيد الوحدة الوطنية التي شعر بأنها قد تحولت من خلال مواقف بعض الفصائل إلى خدمة أهداف لا علاقة لها بالمصلحة الوطنية الفلسطينية. ذلك هو قرار التوقيع على إتفاق إعلان المبادئ –أوسلو، عام 1993.

كان الأردن أول ساحة واجه فيها عرفات مشكلة اتخاذ قرار في شأن مسار الثورة الفلسطينية وعلاقاتها العربية في ضوء المبادئ التي أرستها فتح لدى تشكيلها. ففي عام1970، كان أبو عمار يقول: بأنه ضد حدوث أية مواجهة مع النظام الأردني، وضد العمل على إسقاط النظام على النحو الذي كانت تنادي به بعض المنظمات الفلسطينية. وكان يقول: بأن الإطاحة بالنظام سوف تؤدي إلى تحول الأردن إلى دولة فلسطينية وهو "ما يسقط حقنا في فلسطين"[106] . وكان يلجأ في كل مرة يتأزم فيها الوضع، إلى الملك حسين لعقد اتفاق تهدئة معه[107]. غير أنه في الآن ذاته، لم يعمد إلى ضبط المنظمات الراغبة في تحويل الأردن إلى قاعدة آمنة للثورة من خلال إسقاط النظام، حتى ولو أدى خرق تلك المنظمات للاتفاقات إلى تفجير الوضع. من ذلك أنه رفض عزل الجبهة الشعبية أو اتخاذ أي إجراء ضدها بعد قيامها بخطف وتفجير الطائرات في مطار عمان في 1970/9/6، وكان يقول: بأنه لن يسمح بحرب بين الفلسطينيين على غرار ما حدث في فلسطين خلال ثورة 1936–1939[108]. وإذ تأزم الوضع بدخول الجيش إلى عمان في 1970/9/17، وأصبحت المواجهة محتمة، تخلى عرفات عن محاولات التهدئة وقاد المعركة في مواجهة النظام[109].

بعد حرب تشرين عام 1973، وإذ اقتنع عرفات باستحالة تحقيق هدف التحرير الكامل لفلسطين على المدى المنظور، وتخوفه من أن تمضي الدول العربية المعنية بعقد تسويات سياسية مع إسرائيل بدون منظمة التحرير الفلسطينية، كما عبر عن ذلك بنفسه[110] ، تبنى في عام 1974 هدف إقامة دولة فلسطينية على الأراضي المحتلة عام 1967. كان واضحا بالنسبة له مدى صعوبة إقناع الساحة الفلسطينية بمثل ذلك التحول الاستراتيجي. ولم يكن أمامه سوى التوصل إلى صيغة توفيقية على شكل سلطة وطنية مرحلية مقاتلة تقام على أي شبر يتم تحريره[111] ، وقال:" الصيغة حقا غامضة، غير أنه

كان علينا إقناع الساحة الفلسطينية تدريجيا بقبول ما هو واقعي، وتمكنا من ذلك"[112]. غير أن عرفات لم يتمكن من إقناع الساحة الفلسطينية بتبني صيغة واضحة لهذه الدولة قبل مضي أربعة عشر عام[113].

ففي لبنان، اضطر عرفات إلى المرور بتجربة شبيهة بما مر به في الأردن، وذلك بفعل اشتداد الاستقطاب في الساحتين اللبنانية والفلسطينية على خلفية حرب تشرين 1973، والتسوية السياسية، وبرنامج النقاط العشر، والخلاف السوري –المصري، ثم طبيعة الحرب الباردة.

ففي عام 1975، رفض عرفات الانجرار إلى الحرب الأهلية التي اندلعت في لبنان، وبذل أقصى ما يستطيع من جهد لكي لا يتم الزج بمنظمة التحرير الفلسطينية في تلك الحرب، التي رأى أنها تهدف إلى القضاء عليها، وبخاصة أن شرارة تلك الحرب قد بدأت باعتداء على باص ركاب يقل فلسطينيين ولبنانيين على طريق عين الرمانة في 1975/4/13 . وقد تمكن خلال الأشهر الأولى، من منع فصائل المنظمة من المشاركة فيها، وأعلن بأن المنظمة ليست طرفا في تلك الحرب، ولا تشكل طائفة في لبنان[114]. غير أن جهوده ذهبت أدراج الرياح بفعل انخراط كل الفصائل اليسارية، بما في ذلك يسار فتح، في القتال، وبخاصة بعد التدخل السوري في أوائل عام 1976. غير أنه قبل مغادرته لبنان للسعي لدى الزعماء العرب للعمل على وقف الحرب الأهلية، وضع خطا أحمر طلب فيه من المقاتلين الفلسطينيين عدم تجاوزه، وهو عدم دخول المناطق المسيحية مطلقا. وقد التزم المقاتلون بذلك، " وكان ذلك هو الذي أنقذ المقاومة الفلسطينية من الدمار"[115]. وبعد أن عاد إلى لبنان، وفي خضم الحرب الأهلية، لم يقد المعركة كما فعل في الأردن، ووصف أحد رفاقه حالته بقوله:"كان وحيدا وبدون أي نفوذ، حتى مرافقيه تركوه والتحقوا بالقتال"[116].

وعلى مدى الأعوام التي امتدت منذ 1976 ولغاية الخروج من بيروت في 1982، لم يلعب عرفات أي دور سياسي حاسم في الأحداث، وبخاصة بالنسبة للعمليات العسكرية الفلسطينية ضد إسرائيل، والتي كانت تؤدي إلى اجتياحات إسرائيلية للعمق اللبناني، حيث كان يخضع في كل مرة لإرادات الفصائل الأخرى مثل: الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية والفصائل التابعة لسورية والعراق، وما تبلور داخل حركة فتح ذاتها من تياري يساري، وذلك على الرغم من قناعاته الخاصة، ثم يترأس قيادة المعارك والمواجهات. فقد أصبح عرفات يرى في ذلك الحين، أن الكفاح المسلح بالنسبة لتلك

الفصائل، "لم يكن بهدف إلى مؤازرة جهوده الدبلوماسية والسياسية بقدر ما كان الهدف منه هو تعطيل تلك الجهود"[117].

فحين لم يتطرق السادات في خطابه الذي ألقاه أمام الكنيست الإسرائيلي في 197719/11/20 لمنظمة التحرير الفلسطينية، واكتفى بقول :إن الفلسطينيين يتعطشون لوطن خاص بهم[118]، غضب عرفات غضبا عارما، وعلى الرغم من أنه رأى أن منظمة التحرير الفلسطينية قد فقدت حليفتها وحاميتها الكبرى في الأزمات، وأنها قد أصبحت منكشفة أمام كل المتربصين بها، وأن إسرائيل ستعمد إلى تدميرها مستغلة في ذلك موقف المنظمة الرافض لما أقدمت عليه مصر، فهو قد امتثل لغضب الفصائل وتصعيدها للعمليات العسكرية ضد إسرائيل من الجنوب اللبناني، وذهب إلى دمشق، وأصدر مع الأسد بيانا مشتركا تحدثا فيه عن "الطعنة الخيانية" [119]. وفي 1978/3/11، نفذت حركة فتح نفسها . عملية الشهيد كمال عدوان على شواطئ تل أبيب، التي ردت عليها القوات الإسرائيلية بعنف في 1978/3/14 ، فاخترقت الحدود واشتبكت مع المقاتلين وطردتهم شمالا، وشردت نحو ربع مليون لبناني وفلسطيني، ثم انسحبت بعد أن أقامت لنفسها حزاما أمنيا في الأراضي اللبنانية [120]. وقد وجد عرفات في قرار مجلس الأمن الصادر في 3/19/ 1978م الذي أمر بوقف إطلاق النار وانسحاب إسرائيل، فرصة للخروج من ذلك المأزق، وعقد مع قائد قوات حفظ السلام التي أمر مجلس الأمن بتشكيلها، اتفاقا في هذا السياق، اعتبره أبو عمار أول اتفاق يتم بين منظمة التحرير الفلسطينية والأمم المتحدة، وسعى إلى الالتزام به، وقام باعتقال وإبعاد عدد من كوادر فتح الذين أرادوا خرق الاتفاق[121] . وساد توقف نسبي لبعض الوقت في العمليات التي توجه إلى داخل إسرائيل، ليس بسبب التزام الفصائل بالاتفاق الذي عقده أبو عمار، وإنما بسبب الحزام الأمني الذي أقامته إسرائيل في الأراضي اللبنانية قبل انسحابها[122]. أما العمليات الموجهة من قبل الفصائل الفلسطينية والمقاومة اللبنانية ضد الحزام الأمني الإسرائيلي، فلم يكن أبو عمار ضدها [123].

غير أن الوضع ما لبث أن انفجر مجددا، وذلك بفعل إقدام الاتحاد السوفييتي وسورية وليبيا بضخ كم كبير من الأسلحة المتطورة والثقيلة والأموال على الفصائل ذاتها ، حيث اندلع في 1981/7/10 ما عرف باسم حرب الكاتيوشا، أو حرب المدفعية، وذلك بهدف تسخين الساحة لإرباك السادات وتعطيل المباحثات الجارية في شأن الحكم الذاتي الفلسطيني. وكان ذلك مؤشرا على تحول قوات منظمة التحرير الفلسطينية إلى قوة عسكرية فعالة[124].

ولم يكن أبو عمار راضيا عن كل ما يحصل. فإلى جانب تشككه في النوايا السوفييتية والسورية واللبنانية في تزويد الفصائل الفلسطينية بهذا الكم الهائل من الأسلحة المتطورة والثقيلة، فقد كان أيضا ضد الكشف عن هذه القدرات في ذلك الحين"، كما عارض قصف أهداف إسرائيلية مدنية، وطلب التركيز في القصف على الأهداف العسكرية والاقتصادية وخطوط المواصلات"[125]، وكان يقول: "جنرالاتنا ماهرون في العمل العسكري، ولكنهم بحاجة إلى دروس في استراتيجية ربط العسكري بالسياسي"[126]. غير أنه مع بدء الرد الإسرائيلي في 1081/7/17، باشر الإشراف بنفسه على العمليات[127]. وكان في، الآن ذاته ، ينتظر الوساطة الدولية، حيث وصل الوسيط الأمريكي، فيليب حبيب، وعقد في 1981/7/22، اتفاقا مع ياسر عرفات لوقف إطلاق النار[128].

وإذا كان أبو عمار يتأمل صمود ذلك الاتفاق، فهو قد صمد بشكل أو بآخر لنحو خمسة أشهر فقط، حيث ما لبث الطيران الإسرائيلي أن أغار في أوائل يناير 1982 على مواقع للجبهة الديمقراطية ردا على عملية قامت بها على الحدود الأردنية -الإسرائيلية. وطلب أبو عمار عدم الرد على تلك الغارة، حيث كان يدرك أن الغارة الإسرائيلية ليست إلا استدراجا لحرب واسعة تعد لها. ولكن الفصائل اليسارية رفضت ذلك، "حيث كان هناك إصرار فصائلي مدعوم من قبل سورية وليبيا على كسر إرادة أبو عمار وإفشال اتفاق فيليب حبيب"[129]. وحين جرت محاولة اغتيال السفير الإسرائيلي، شلومو أرغوف في لندن في 1982/6/3، تصاعد القصف الفصائلي ردا على قصف إسرائيلي، وهو ما كانت تنتظره إسرائيل. وفي 1982/6/6، بدأ الاجتياح الإسرائيلي الشامل، واضطر عرفات إلى مغادرة بيروت في 1982/9/1، بطلب من حلفائه قبل طلب أعدائه[130]، وإنما بعد معركته البطولية التي أراد منها،كما قال في خطاب له في 1982/6/17، أن يجعل من بيروت ستالينغراد العرب[131]، على الرغم من إدراكه لنتائجها المحتمة.

وفي سياق سياسات عرفات المتعلقة بمبدأ الحفاظ على الوحدة الوطنية، لابد من إدراج محاولته في عام 1983 إقناع أقطاب حركة الانشقاق داخل فتح بالعودة إلى الصف الوطني، حيث جازف بالذهاب من تونس إلى دمشق، معقل المنشقين. وكان قادرا على إقناعهم لولا أن القيادة السورية عاجلته في 1983/6/24 بطرده من أراضيها[132].

من جهة ثانية، لم يرفض أبو عمار أي مشروع للتسوية السباسية، وكان يفضل دائما أن يظهر رغبته في الموافقة عليها أو الاستعداد للتعامل معها أو ترك مسألة الرفض لإسرائيل . فمنذ أواخر عام 1969، فضل التعامل مع مشروع روجرز، لمدة

أسباب، في مقدمتها خوفه من تمكن الملك حسين من استرداد الضفة وبقائها جزءا من الأردن، ثم أخذه بتعهد جمال عبد الناصر بعد تعديل مشروع روجرز في أوائل عام 1970، بأنه سيعمل من أجل الحصول على موافقة الملك حسين على تسليم الضفة للمنظمة بشرط التعهد بالنضال سياسيا فقط[133]. غير أن الفصائل اليسارية ويسار فتح وبعض قياداتها رفضوا المشروع، واضطر أبو عمار ، كعادته، إلى الإعلان بنفسه عن رفض المنظمة للمشروع، وبأن المنظمة ستواصل الكفاح المسلح. وعلى الرغم من رجاء جمال عبد الناصر الوحيد بأن لا تتم مهاجمته في حالة رفض المشروع، فإن أبو عمار لم يتمكن من منع المظاهرة الحاشدة التي قامت بها القوى اليسارية ضد جمال عبد الناصر ووصفته فيها بالخائن[134] .

اتخذ عرفات موقفا شبيها بما سبق بالنسبة لاتفاق كامب ديفيد عام 1978. فعلى الرغم من انصعاقه، على النحو الذي وصف به نفسه، لدي سماعه خطاب السادات ثم سفره إلى إسرائيل في 19/11/ 1977، فإنه رأى أن شن هجوم لفظي كاسح على الدولة الحامية للفلسطينيين سوف يضع المنظمة في حالة عزلة تامة. غير أنه وأمام السخط العارم الذي عم المنظمة وكوادرها، ما لبث أن توجه بعد بضعة أيام إلى دمشق، وأصدر بيانا مشتركا مع حافظ الأسد ضد السادات، وأسهم بعد ذلك في جميع الفعاليات والقرارات الشاجبة لمصر على مدى السنتين التاليتين. على الرغم من ذلك، لم يقطع عرفات قنواته السرية مع مصر، وقبل توقيع السادات على إنفاق كامب ديفيد، بعث في حزيران1978 برسالة إلى السادات يرجوه فيها بأن لا يتسرع في عقد اتفاق ثنائي مع إسرائيل، ويقول له: "لا تنس القدس، لا تنس شعبي الذي يضحي بحياته كل يوم، أنت ما زلت قادرا على الإصرار للحصول على ضمانات أقوى"[135]، حيث كان يتابع كل تفاصيل مباحثات السادات حول الشأن الفلسطيني.

وبعد الخروج من بيروت عام 1982، رأى عرفات أن المبادرة التي قدمها الرئيس الأمريكي رونالد ريغان في 1982/9/1، تتضمن ما يمكن الاستفادة منه[136]، وبخاصة أنها أفضل من اتفاق كامب ديفيد فيما يتعلق بحق الفلسطينيين في الأرض. وبادر إلى شن حملة واسعة بين صفوف الفصائل وأعضاء المجلس الوطني لإقناعهم بعدم رفض الخطة. غير أنه لدى انعقاد المجلس الوطني في 1983/2/14، لم يبذل ما يكفي من جهد لإقناع الأعضاء بعدم رفض الخطة، وذلك خوفا من وقوع الانشقاق الذي كانت تعد له بعض كوادر فتح بالتعاون مع دمشق، بهدف منع التعامل مع خطة ريغان[137]، حيث رفض المجلس الخطة،وإنما بصيغة دبلوماسية وجد فيها عرفات فرصة للتوصل مع

الملك حسين إلى اتفاق عمل على أساس خطة ريغان. وهو ما كان، حيث توصل الاثنان في العام ذاته إلى مسودة اتفاق للتحرك المشترك ما لبثت قيادة فتح أن رفضته بحجة تفادي حدوث الانشقاق [138].

إن كل هذه التجارب وغيرها التي مر بها ياسر عرفات، قد أقنعته باستحالة تطبيق مبدأ استقلالية القرار الفلسطيني طالما ظلت قيادة الشعب الفلسطيني رهينة التدخلات العربية بمحاورها المتضاربة والمتشعبة التي قسمت الساحة الفلسطينية، وحالت دون تمكن منظمة التحرير الفلسطينية من اتخاذ أي قرار من شأنه تجنيب الشعب الفلسطيني وقيادته ذلك المصير الذي لقيه الشعب وقيادته في عهد الحاج أمين الحسيني. هذا بالإضافة إلى أن تلك التدخلات قد أفرغت مبدأ الوحدة الوطنية الذي التزم به على مدار السنوات، من مضمونه، وجعلت ياسر عرفات، كقائد، عاجزا عن اتخاذ أي قرار. ومنذ عام 1988، بدأ عرفات يتخذ مسارا جديدا يرتكز أساسا على ضرورة عدم إخضاع القرار السياسي الفلسطيني المصيري لأهواء وحدة وطنية يرتهن قسم من عناصرها لقرارات سياسية غير فلسطينية، ولغايات لا تخدم المصلحة الوطنية الفلسطينية، وعمد إلى تنفيذ سلسلة من الاستراتيجيات الفرعية التي قادته إلى اتفاق إعلان المبادئ –أوسلو في عام 1993.

كان اتفاق أوسلو هو القرار الاستراتيجي الوحيد الذي اتخذه عرفات منذ مبادرته إلى تشكيل فتح في أواخر الخمسينات. ولم يكن بإمكانه التوصل إلى ذلك الاتفاق لولا السرية المطلقة التي أحاط بها المفاوضات. وقد أنجز عرفات بهذا الاتفاق ثلاثة أهداف: الأول هو عقد أول اتفاق سياسي استراتيجي في تاريخ الشعب الفلسطيني يفتح الباب، ولأول مرة في التاريخ الفلسطيني، أمام احتمال قيام دولة فلسطينية، والثاني هو إصلاح الخطأ التاريخي الذي ارتكبه الحاج أمين برفض الكتاب الأبيض ثم قرار التقسيم، والثالث هو إصلاح الخلل التاريخي المتمثل في وجود القيادة خارج أرض الوطن. وكان أبو عمار راضيا وواثقا، على الرغم من كل ما في الاتفاق من مزالق وثغرات.

غير أن ياسر عرفات قد اختتم حياته بإحدى أكبر عمليات الحفاظ على الوحدة الوطنية، والتي تمثلت في موقفه من الانتفاضة الأخيرة التي اندلعت في 29/9/ 2000. فسواء كان أبو عمار مع عسكرة الانتفاضة أم لا، وسواء كان قادرا على منع عسكرتها أم لا، فلا شك في أنه فكر طويلا خلال حصاره الفريد من نوعه، في أوجه الشبه والاختلاف بين الانتفاضة الأخيرة وثورة 1936–1939، التي لم يحصد الشعب منها في حينه إلا الدمار. وإذ قرر أبو عمار أن لا يهرب، وأن لا يشق الساحة الوطنية، وأن لا

الرئيس عرفات والحاج أمين الحسيني . . .

يحل السلطة ويلغي اتفاق أوسلو ثم ينزل إلى الشارع لكي يقود الانتفاضة، مرغما أم بملء إرادته، كما فعل في الأردن ولبنان، فهو قد آثر أن يتخذ ذلك الموقف الوسطي الذي لا يؤدي إلى شق الساحة الوطنية، ويحافظ على ما تبقى من مكتسبات ضئيلة من الاتفاق الذي وقعه مضطرا، لكي لا يخرج فارغ اليدين كما خرج الحاج أمين من قبله.

6- العلاقات العربية والإسلامية:

بدأ الحاج أمين الحسيني حياته السياسية عربيا وحدويا، ومنذ أن تبنى مبدأ الوطنية العربية الفلسطينية، أصبح ينظر للساحة العربية، وكذلك الإسلامية كساحتين مساندتين للنضال العربي الفلسطيني ضد الصهيونية. بدأ الحاج أمين نشاطه السياسي منذ أوائل العشرينات بالتركيز على البعد الإسلامي، فأقام صلات واسعة مع جميع المسلمين العرب وغير العرب في إيران والهند وأفغانستان، التي كانت جميعها خاضعة إما للسيطرة الاستعمارية المباشرة أو للنفوذ البريطانيين. وكان هدفه من ذلك هو توجيه أنظار المسلمين إلى فلسطين لكي يثبت لبريطانيا والصهيونيين أن فلسطين تحظى بدعم جميع مسلمي العالم[139]، ولكي يجمع التبرعات المالية لترميم المقدسات الإسلامية في القدس، وإقامة مشاريع أخرى كإنشاء جامعة إسلامية و تأسيس صندوق لشراء الأراضي المهددة بالبيع للحركة الصهيونية. و بلغ نشاطه ذروته بعقد المؤتمر الإسلامي العالمي في كانون أول 1931 الذي حضرته وفود من نحو عشرين دولة، واتخذت فيه قرارات هامة. غير ان النتائج الفعلية كانت ضئيلة جدا سواء على المستوى المادي أو السياسي، حيث لم يتمكن خلال الجولات الخارجية التي قام بها بعد المؤتمر، من جمع ما يكفي لتنفيذ مشاريعه في القدس وفلسطين، فحلفاؤه من المسلمين " كانوا فقراء جدا ومنقسمون جدا، دينيا وسياسيا، وخاضعون لسيطرة خارجية قوية"[140] وما أن اندلعت الثورة في فلسطين عام 1936 حتى تراجعت نشاطاته الإسلامية.

أما على المستوى العربي، فقد اتسم الاهتمام العربي بما يحدث في فلسطين، والذي تصاعد نسبيا خلال الثلاثينات، بدور المساند فقط. وقد لعب العراق بشخص وزير خارجيته أو رئيس وزرائه نوري السعيد، دورا متميزا عن بقية العرب في مجال الاهتمام بالقضية الفلسطينية، وكان وراء صدور النداء العربي لوقف الإضراب في 1936/10/11، الذي شارك في توجيهه كل من الملك عبد العزيز بن سعود والأمير عبد الله إضافة إلى الملك غازي[141] كما شارك كل من العراق ومصر والسعودية واليمن في مؤتمر سان جيمس في لندن، الذي بدأ أعماله في 1939/2/7. ويذكر عوني عبد الهادي

أن جميع ممثلي الدول العربية قد حبذوا القبول بالكتاب الأبيض بعد صدوره، غير أنهم كانوا يقولون: بأنهم "جاؤا لإبداء النصح للوفد الفلسطيني، وأن الكلمة الأخيرة هي للوفد الفلسطيني مهما كان هذا الرأي[142] .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتأسيس الجامعة العربية ثم عودة الحاج أمين من أوروبا في عام 1946، بدأت مرحلة جديدة تحولت خلالها الدول العربية من دور المساند إلى دور المقرر للسياسات الخاصة بفلسطين. وقد تم ذلك بفعل تراجع مكانة الحاج أمين السياسية نتيجة تحالفه مع دول المحور خلال الحرب، والعلاقات المشوبة بالريبة بينه وبين الأمير عبدالله منذ أن تم تشكيل إمارة شرق الأردن[143] . إضافة إلى الدور الذي قام به في دعم حركة رشيد عالي في العراق عام 1941، والذي أدى إلى اصطفاف العراق مع الملك عبدالله في كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية بعد تشكيل الجامعة العربية عام 1945، حيث تشكل في الجامعة محوران رئيسان متنافسان، أحدهما يضم مصر والسعودية وسورية، ويضم الثاني الأردن والعراق واليمن، وبلغ التنافس بينهما أوجه لدى اتخاذ قرار دخول الحرب عام 1948، ثم خلال مناقشة مصير بقية الأراضي الفلسطينية بعد انتهاء الحرب[144]. غير أن غياب الحاج أمين عن الساحة الفلسطينية منذ فراره في عام 1937، وانقسام الحركة الوطنية وعدم بروز أية شخصية فلسطينية مركزية بديلة خلال تلك الفترة، كان السبب الرئيس في تراجع هذه المكانة وتمكن العرب من الانتقال من دور المساند إلى دور المقرر للسياسات الفلسطينية.

وعلى الرغم من انتهاء دوره السياسي بعد عام 1948، فإن الحاج أمين لم يتوقف عن التحرك السياسي على صعيد المنطقة العربية، رافعا لواء قضية فلسطين، متنقلا بين المحاور العربية المتنافسة، مما أدى إلى طرده من مصر في عام 1959 بسبب تعاونه السابق مع الإخوان المسلمين ولإقامة علاقات مع عدوين لدودين لجمال عبد الناصر، هما السعودية وعراق عبد الكريم قاسم، حيث أعلن عبد الكريم قاسم في أواخر عام 1959م عن عزمه تشكيل جيش تحرير فلسطيني لكي يقود الجهاد لتحرير فلسطين[145]، و أدت تصريحاته هذه وحديثه عن الجمهورية الفلسطينية الخالدة، والبدء بإلحاق فلسطينيين في كلية الضباط وغير ذلك من الخطوات، إلى صدور ردود فعل عربية غاضبة ، وبخاصة في مصر، حيث اتهمت الصحف المصرية الحاج أمين بالعمل على "إقامة جمهورية فلسطينية بمساعدة قوة عظمى خارجية"[146]. وتكمن أهمية تحركات الحاج أمين العربية، في أنها أسهمت في كسر الجمود الذي أحاط بالقضية الفلسطينية منذ عام 1949 على المستوى الرسمي العربي.

الرئيس عرفات والحاج أمين الحسيني . . .

تزامنت تحركات الحاج أمين العربية مع بدء تحركات ياسر عرفات، إذ كان عرفات قد سبق الحاج أمين في زيارة إلى العراق في عام 1959، قال عنها لاحقا بأنه أراد التعرف على حقيقة أنباء تتحدث عن انقلاب قادم هناك[147] . وكما ساءت علاقة الحاج أمين بجمال عبد الناصر وغادر القاهرة عام 1959، كذلك ساءت علاقة ياسر عرفات بعبد الناصر بسبب علاقته بالإخوان المسلمين، حيث اعتقل في عام 1954 لنحو شهرين للاشتباه بأنه يعرف أماكن الأسلحة الخاصة بالإخوان المسلمين[148]. كما خاب ظنه بعبد الناصر بسبب نتائج حرب السويس عام 1956، التي قاتل فيها كجندي في الجيش المصري[149] وبعد مغادرته القاهرة، شن ياسر عرفات على صفحات نشرة فتح "فلسطيننا" التي بدأ بإصدارها عام 1959، حملة كاسحة وساخرة على جمال عبد الناصر بسبب نتائج حرب السويس وسياساته الفلسطينية. وكان مقتنعا خلال النصف الأول من الستينيات أن عبد الناصر قد اتخذ قرارا بتصفية العاصفة، جناح فتح العسكري الذي أنشأه عرفات في ذلك الحين، وباغتياله[150].

وضع ياسر عرفات لحركة فتح في أوائل الستينات، ثلاثة مبادئ سوف تدخله في حالة تصادم مع الدول العربية الرئيسة ذات العلاقة الرئيسة بالقضية الفلسطينية بسبب محاذاتها جغرافيا لفلسطين، وهي: مصر والأردن وسورية ولبنان. تلك المبادئ هي:

1. الكفاح المسلح هو الطريق لتحرير فلسطين من خلال تسوريط الدول العربية للدخول في حرب مع إسرائيل.
2. حق المقاومة الفلسطينية في العمل من الأراضي العربية المحاذية.
3. استقلالية القرار الفلسطيني.

بدأ عرفات في تطبيق تلك السياسات خلال النصف الأول من الستينات، عبر الاستفادة من واقع المحاور العربية المتنافسة في الساحة العربية. فكان أول صدام له مع النظام السوري، الذي وافق في عهد رئيسه أمين الحافظ، على السماح لعرفات بشن عملياته العسكرية من الأراضي السورية. و لم يكد ياسر عرفات يقوم بأول عملية له في 23 /1 /1966، حتى حدث انقلاب عسكري في أيار 1966، أطاح بالحكم السابق، وتم اعتقال عرفات، ثم غادر سورية[151].

ولم تغير حرب 1967 من سياسات عرفات أو الدول المعنية، إن لم تكن زادتها تشددا. غير أن التغير الرئيس في ما يتعلق بعرفات كان في مجال لعبة المحاور، حيث تحسنت علاقته بمصر، وهي علاقة سوف تستمر وتتطور إلى تحالف إستراتيجي ضمني دائم على الرغم مما يصيبها من هزات بين حين وآخر. فمنذ عام 1968، حاول جمال

عبد الناصر إقناع عرفات بالتخلي عن الكفاح المسلح، واصطحبه في العام ذاته إلى الاتحاد السوفييتي للغرض ذاته[152]. غير أنه لم يفلح، حيث إن عرفات ظل متمسكا بالكفاح المسلح، ليس بهدف تسوريط الدول العربية على النحو الذي كان في بداية الستينيات، وإنما كوسيلة لإعادة إحياء الشعب الفلسطيني من جهة، ولاستعادة الاهتمام العربي والدولي بقضية فلسطين، كقضية لا يمكن تجاهلها من جهة أخرى. لذلك سعى عبد الناصر إلى تنظيم الوجود الفلسطيني المسلح، وتقليص فرص التصادم بين الفلسطينيين والدول التي يتواجدون فيها، وتوصل في 1969/11/3 إلى عقد اتفاقية القاهرة بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة اللبنانية[153]، كما بذل جهودا مكثفة في عام 1970 للتوفيق بين المقاومة الفلسطينية والحكومة الأردنية، وإنما دون جدوى، حيث إن الاتفاق الأخير الذي عقده بين الجانبين في 1970/9/28 والذي عرف باسم اتفاقية عمان [154]، قد انهار بعد وفاته في نفس اليوم.

كانت المجابهة المسلحة التي حدثت في الأردن، كارثية بالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية، ليس فقط بسبب الخسائر البشرية الكبيرة التي تكبدها المقاتلون وجماهير المخيمات الفلسطينية، وإنما بفعل خسارة المكان الاستراتيجي الوحيد الملائم لوجود المنظمة فيه بفعل ارتباطه المباشر مع الضفة الغربية، وكونه يضم أكبر تجمع من اللاجئين الفلسطينيين في الخارج، كما يضم مواطنين فلسطينيي الأصل أكثر من أردنيي الأصل. غير أن الوضع قد تعقد بعد حرب 1967 واحتلال الضفة الغربية، حيث أصبح يخشى من فرض تسوية سياسية تحيل الأردن إلى دولة فلسطينية، وتفسح المجال لإسرائيل لالتهام الضفة الغربية، وهو ما اعترف به أبو عمار في تصريحه المشار إليه سابقا. فقد حرم الخروج من الأردن منظمة التحرير الفلسطينية من فرص التوصل إلى تسوية سياسية تؤدي إلى انسحاب إسرائيل من الضفة وقيام دولة فلسطينية تتحد كونفدراليا مع الأردن. كما كان من شأن ذلك أن يوفر على ياسر عرفات وجماهير اللاجئين، ما حدث لاحقا من صراع دموي وسياسي في لبنان.

فبعد حرب 1973، انقسمت الساحة العربية إلى محورين، الأول بزعامة مصر، والثاني بزعامة سورية. وقد زادت الحرب الباردة من حدة ذلك التناقض بفعل تحول المحورين العربيين إلى محورين دوليين، كل يمثل أحد قطبي الحرب الباردة.

وجد أبوعمار نفسه في خضم ذلك الوضع منذ انتقاله للإقامة الدائمة في لبنان. وكان أول تحد واجهه بعد صدور برنامج النقاط العشر في عام 1974، هو تشكل "جبهة الرفض" من الفصائل الفلسطينية الرافضة للبرنامج المذكور، والمدعومة من قبل سورية

وليبيا والعراق [155]. وكان واضحا بأن هدف الدول المذكورة هو منع ياسر عرفات من الدخول في عملية التسوية.ومورست عليه ضغوط شديدة، منها تبني العراق لانشقاق ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في بغداد عام 1974، صبري البنا، الشهير باسم أبونضال، الذي تحول بفعل دعم الحكومة العراقي إلى إرهابي دولي كبير ، ونفذ في أواخر السبعينيات سلسلة من الاغتيالات التي طالت عددا من أبرز ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج [156]. ومنذ ذلك الحين، أخذت علاقات أبو عمار مع سورية تتدهور من سيء إلى أسوأ، إلى أن بلغت ذروتها في حصار طرابلس، والذي انتهى بتمكن فرنسا من إخراج عرفات بحرا في1983/12/19[157].

بعد خروجه من طرابلس، وصل أبوعمار في1983/12/22 إلى مصر للقاء رئيسها،حسني مبارك، وذلك في أول عملية تحد علنية لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني وقرارات القمم العربية بمقاطعتها، وبدأت مصر بعد ذلك مساعيها من اجل استئناف مساعي التسوية السياسية. كما رمم أبو عمار علاقته بالأردن، على الرغم من تعكرها بين حين وآخر، فتم في 1988/7/31 إصدار قرار فك ارتباط الضفة الغربية بالأردن، الذي مكنه من إصدار البرنامج السياسي الفلسطيني الذي أعلن الاستقلال في 1988/11/15. وشكلت إقامة عرفات في تونس من عام 1982 ولغاية عام 1994، مرحلة استجمام وشفاء للجروح العميقة التي أصابته خلال نحو عقدين من الخوض في المستنقع العربي. كما شهد فيها انتهاء الحرب الباردة ولا بد أنه تذكر قوله الشهير وهو على وشك مغادرة بيروت يوم 1988/9/1، حين رد على سؤال أحد الصفيين له: "أين أنت ذاهب؟"، بقوله:"أنا ذاهب إلى فلسطين"[158].

غير أن متاعب أبو عمار لم تنته بعقد اتفاق أوسلو الذي كان قد رأى فيه خطوة على طريق الدولة. بل إن متاعب جديدة ذات بعد إسلامي بدرجة رئيسة، قد بدأت حتى قبل وصوله إلى أرض الوطن. فعلى مدى السنوات السابقة، كان عرفات حريصا على تشكيل جبهة إسلامية مساندة لقضية فلسطين، سواء من خلال العلاقات الثنائية مع الدول الإسلامية، أو عبر منظمة المؤتمر الإسلامي. ومع قيام الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، تبلور عنصر سياسي جديد في الساحة العربية تمثل في انبثاق المنظمات الإسلامية التي وجدت المجال مفتوحا أمامها بفعل فشل الحركة القومية العربية التي ظهرت منذ الخمسينيات، في تحقيق أي من أهدافها، وفي مقدمتها الوحدة العربية وتحرير فلسطين. وكان ظهور حركة الجهاد الإسلامي ثم حركة المقاومة الإسلامية، حماس، في الأراضي الفلسطينية خلال الثمانينيات أحد تجليات تلك التطورات.

غير أن الخلاف تفاقم بين عرفات وحماس بشكل خاص بعد التوقيع على اتفاق أوسلو، والعودة إلى الأراضي الفلسطينية، وإقامة السلطة الوطنية عام 1994[159]. فقد بدأ عرفات يخشى من أن تؤدي عمليات حماس العسكرية داخل إسرائيل، إلى العودة بالقضية الفلسطينية إلى المربع الأول الذي خلفه له الحاج أمين الحسيني عام 1948. وإذ أدت تلك العمليات العسكرية داخل إسرائيل إلى تقوية اليمين الإسرائيلي الرافض لاتفاق أوسلو، الذي ما لبث أن اغتال رئيس وزرائه، إسحق رابين في 11/4 / /1995، ثم وصل إلى الحكم في عام 1996، فشل أبو عمار في إنجاز الأهداف التي توخاها من اتفاق أوسلو، ووجد نفسه مع اندلاع انتفاضة عام 2000 أمام حالة شبيهة بحالته في تجربتي الأردن ولبنان، غير قادر على اتخاذ قرار . ومات في 2004/11/11 قبل أن تتكشف القصة عن أية خاتمة.

7- العلاقات الدولية:

تنحاز أية حركة تحرر و تحرير في العادة إلى إحدى القوى الدولية من أجل الحصول على الدعم لقضاياها التي تقف قوى دولية أخرى ضدها. غير أن المشكلة التي كثيرا ما تواجه تلك الحركات، هي في حدوث تحولات في سياسات القوة الداعمة لهذه الحركة أو تلك، بحيث تصبح هذه الحركة هي الخاسرة بسبب تلك التحولات. والأمثلة على ذلك كثيرة.

حاول الحاج أمين الدخول في تلك اللعبة، فسعى إلى التقرب من فرنسا، على الرغم من التنافس القائم بين فرنسا وبريطانيا حول مناطق نفوذ كل منهما في المنطقة. كما سعت فرنسا إلى استقطاب التأييد الفلسطيني لها ضد بريطانيا ، فسهلت بعد اندلاع ثورة 1936، تسلل المقاتلين وتهريب الأسلحة من سورية ولبنان للثوار الفلسطينيين، كما استضافت الحاج أمين في لبنان لدى فراره من البلاد عام 1937. غير أن السياسة الفرنسية ما لبثت أن تغيرت إلى سياسة تحالف مع بريطانيا قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية وكانت أولى نتائج ذلك التحالف هي فرض رقابة صارمة على الحدود حالت دون استمرار وصول الأسلحة للثوار الفلسطينيين، مما عجل في انهيار الثورة عام 1939. ثم طلبت فرنسا من الحاج أمين إصدار بيان مؤيد لها ولبريطانيا في حربهما المقبلة مع ألمانيا، فأصدر بيانا خاصا بفرنسا فقط، جاء فيه بأن عرب فلسطين"لن يسيئوا لفرنسا طيلة الحرب"[160] لذلك طلبت فرنسا من الحاج أمين مغادرة الأراضي اللبنانية وسهلت عملية وصوله إلى العراق. ويذكر أحد المقربين من الحاج أمين أنه توسل إليه قبل إصداره البيان الخاص بفرنسا، أن يصدر بيانا يعلن فيه أن الشعب الفلسطيني "سيبقى

على الحياد طيلة مدة الحرب تجاه كل المتقاتلين وأنه سوف يستأنف النضال من أجل حقه واستقلال وطنه فلسطين بعد الحرب"، غير أن الحاج أمين رفض ذلك[161]. وفي عام 1941، وفيما كان الحاج أمين في بغداد، بعث الرئيس الأمريكي، روزفلت برسالة إلى الزعماء العرب، ومن بينهم الحاج أمين، طلب فيها تعاونهم مع بريطانيا خلال الحرب وإرجاء المطالب القومية إلى ما بعد انتهائها، فأجاب الحاج أمين بأن "إنجلترا لا تعطي شيئا من تلقاء نفسها لا في السلم ولا في الحرب وان العرب سيعملون جاهدين على تحقيق مطالبهم في جميع الظروف والحالات"[162] ولم يحاول الحاج أمين طلب تعهد أو وعد ما من الرئيس الأمريكي بدعم العرب في فلسطين بعد الحرب لكي يلبي طلبه. كذلك فعل مع الاتصالات البريطانية معه خلال وجوده في العراق والتي قال فيها البريطانيون بأنهم سيسمحون له بالعودة إلى فلسطين إذا قبل الكتاب الأبيض ، حيث رفض ذلك أيضا. كان الحاج أمين يرى جازما في ذلك الحين أن النصر سيكون حليف ألمانيا، ولذلك تحالف معها. ويقول طه الهاشمي بأن الضباط العراقيين اقتنعوا برأيه فقاموا بحركتهم العسكرية برئاسة رشيد عالي الكيلاني ضد النظام العراقي عام1941[163].

من جهة ثانية، بدأ الحاج أمين حياته السياسية بعد قيام الاتحاد السوفييتي بقليل. ويذكر أن بريطانيا قد رأت فيه سدا منيعا أمام التيار الشيوعي في فلسطين[164] وقبل انتهاء حياته السياسية عام 1949، كانت الحرب الباردة قد أخذت تطل برأسها، وخضعت مسألة قيام دولة، أية دولة، في فلسطين، لشروط الحرب الباردة. وبفعل تشدد الحاج أمين وتاريخه القريب، أصبحت مسألة تطبيق الشق الثاني من قرار التقسيم موضع تساؤل في الأوساط البريطانية والأمريكية، بل إن الولايات المتحدة نفسها تراجعت لفترة قصيرة في أوائل عام 1948 عن تأييد قيام الدولة اليهودية بفعل تقارير استخباراتية تقول بأن مثل هذه الدولة ستصبح قاعدة للنفوذ السوفييتي[165] غير أن الحاج أمين لم يكن يملك القدرة على استغلال مثل تلك الظروف. ولم ينظر إليه في عام 1947-1948 كزعيم قادر على أن يكون سدا منيعا ضد انتشار الشيوعية كما كان عليه الحال في العشرينات، حيث حل الملك عبد الله محله في هذا المجال. وبفعل عجز الحاج أمين عن الانخراط في اللعبة الدولية، أصبح الملف الفلسطيني في يد الأنظمة العربية والسياسات البريطانية والأمريكية، لكي يتم التعامل معه وفقا لمتطلبات المحاور العربية وسياسات الحرب الباردة، التي كانت قد أطلت برأسها في ذلك الحين.

على العكس من الحاج أمين، تمتع ياسر عرفات بعقل سياسي براغماتي أهله للتعامل بحرية أكبر مع الساحة الدولية ومتغيراتها. فحين تم تشكيل فتح في أوائل الستينات ، توجه فورا إلى الصين للحصول على تأييدها ودعمها للنضال الفلسطيني.

وعلى مدى الستينات، حصل منها على بعض الأسلحة، وقبلت الصين كوادر فلسطينية للتدريب العسكري وكانت تصر على أنها لن تعترف بإسرائيل وأنها على استعداد للوقوف بكل قوة وراء ثورة شعبية فلسطينية-عربية للقضاء عليها. غير أن الصين ما لبثت أن أوقفت دعمها لفتح بعد الاعتراف الأمريكي بها في عام 1968[166] قبل ذلك، كان ياسر عرفات قد بدأ رحلة التقرب من الاتحاد السوفييتي الذي زاره لأول مرة بصحبة جمال عبد الناصر عام 1968[167].

سعى ياسر عرفات على مدى السبعينات، إلى قيادة سفينته بين أمواج الحرب الباردة بحذر شديد. ولم يسمح لنفسه بالمراهنة على انتصار السوفييت في تلك الحرب، على الرغم من ضغوط اليسار الفلسطيني عليه. وكان يدرك جيدا أن التحالفات الدولية لا تقوم على مبدأ صديق عدوي عدو عدوي صديقي على النحو الذي اعتمده الحاج أمين منذ 1937، كما أنه كان على وعي تام بأبعاد اعتراف الاتحاد السوفييتي بإسرائيل وبالموقف السوفييتي الرافض للكفاح المسلح، وبسعي السوفييت إلى تحقيق سلام شرق أوسطي عبر تسوية سياسية يكونون طرفا رئيسا فيها، وهو أمر مستحيل في ظل الحرب الباردة وموازينها القائمة. لذلك ظل عرفات يوازن بين علاقته بالاتحاد السوفييتي مع عدم قطع الخيوط مع الولايات المتحدة أو اتخاذ مواقف معادية لها على الرغم من مواقفها المعادية له. وكان عظيم السرور حين طلب منه الرئيس الأمريكي كارتر عبر وسيط في عام1979، المساعدة في إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين في السفارة الأمريكية في طهران[168] كما اعتبر الاتفاق الخاص بوقف إطلاق النار بين المنظمة وإسرائيل الذي عقده الوسيط الأمريكي فيليب حبيب في1981/7/24، بمثابة أول اعتراف أمريكي-إسرائيلي بمنظمة التحرير الفلسطينية[169]. وقد تمكن عرفات من الحصول على مكاسب هامة من الاتحاد السوفييتي خلال السبعينات، لعل أهمها إلى جانب بعض السلاح، حصوله منذ عام 1974 على قرارات الاعتراف بالشعب الفلسطيني وبحقه في النضال وبمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا له، ثم بحقه في إقامة دولته، التي صدرت عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بفعل دعم الإتحاد السوفييتي والمنظومة التابعة له وأصدقائه،إلى جانب الدول العربية والإسلامية. غير أن ياسر عرفات ما لبث أن وقع في مأزق تصاعد الحرب الباردة على نحو هدد بانفجار عالمي منذ أواخر السبعينات وإلى منتصف الثمانينات. وإذ كان يدرك جيدا أن الاتحاد السوفييتي، وعلى الرغم من أنه القوة العظمى الثانية في العالم، غير قادر على إيصاله إلى الدولة الفلسطينية، فقد ظل يسعى إلى اعتراف الولايات المتحدة به، لأنه كان على يقين بأن الولايات المتحدة هي

القوة الوحيدة التي تستطيع ممارسة الضغط على إسرائيل في هذا المجال. هكذا تراجعت علاقة ياسر عرفات مع الاتحاد السوفييتي منذ عام 1979، وذلك مع تصاعد التدخل السوفييتي عبر سورية وليبيا والذي وصل في عام 1983 حد دعم الانشقاق داخل فتح، ومحاولة الإطاحة بعرفات[170]، وكان لابد من انتهاء الحرب الباردة في عام 1988، قبل أن يتمكن عرفات من الحصول على قرارات المجلس الوطني الفلسطيني التي لبت بعض الشروط الأمريكية المطلوبة للمضي قدما في عملية التسوية السياسية. فقد كان عرفات مقتنعا بأن رفض الشروط الأمريكية سوف يؤدي به إلى المصير الذي انتهى إليه الحاج أمين.

8- خاتمة:

تأثر الرئيس الراحل ياسر عرفات خلال شبابه بسلفه الحاج أمين الحسيني، واتخذ منه مثلا أعلى لفترة من الوقت. وكانت أفكار الحاج أمين، وبخاصة المتأخرة منها، منطلقا لياسر عرفات لدى تأسيس فتح ، وفي مقدمتها الكيانية الفلسطينية والكفاح المسلح واستقلالية القرار الفلسطيني وتوريط الدول العربية للدخول في حرب ضد الدولة اليهودية.

غير أن عهد الحاج أمين لم يترك له أيا من مقومات الكيان الفلسطيني المتمثلة بالأرض والشعب والحكومة. فعمد إلى إحياء الشعب، ووجد مادته في المخيمات الفلسطينية المنتشرة في الأردن وسورية ولبنان، ووجد في البندقية أفضل وأسهل أداة لذلك الإحياء. كما أخذ يدعو إلى استرداد الضفة الغربية وقطاع غزة من الأردن ومصر لكي تكونا وطنا وقاعدة ثورية للتحرير. غير أن عملية الاسترداد بعد حرب 1967 أصبحت أكثر تعقيدا: كيف يمكن ذلك؟ ومن الذي سيقوم بها ، الأردن أم منظمة التحرير الفلسطينية؟

بعد حرب 1973، قرر ياسر عرفات الافتراق عن بعض مبادئ الحاج أمين ، وذلك باتخاذ قرار الاشتراك في عملية التسوية السياسية بهدف استرداد الضفة الغربية وقطاع غزة ، وإقامة دولة فلسطينية غير مقاتلة، لكي تكون وطنا ولو صغيرا للشعب الفلسطيني. وبذلك تمكن عرفات بفضل رؤيته السياسية الواضحة المتبلورة بفعل نتائج تلك الحرب، من الانتقال بالقضية الفلسطينية من قضية ذات طابع مصيري إلى قضية قابلة للتفاوض والحل التوفيقي، وذلك انطلاقا من مبدأ أن الصراع المصيري ينتهي دائما

بغلبة الأقوى في أي زمان ومكان، وبما أن الشعب الفلسطيني هو الأضعف في المرحلة الراهنة، فليس من مصلحته التحدث عن مصيرية الصراع.

ولم يغب تراث الحاج أمين عن ياسر عرفات بعد ذلك التحول. ولم يكن ممكنا له أن يغيب وذلك بفعل أن التاريخ الفلسطيني كل واحد. غير أنه الآن أصبح ناقدا له، وبخاصة في مسألة وحدة الحركة الوطنية الفلسطينية. فإذ رأى أن انقسام الحركة في عهد سلفه كان بفعل السياسات التي اتبعها، وأن ذلك الانقسام كان سبب للكارثة، قرر ياسر عرفات اعتماد سياسات مناقضة تضع وحدة الحركة الوطنية في قمة الأولويات. هكذا اضطر عرفات على مدى سنوات طويلة، إلى خوض حروب لم يرد خوضها، وإلى اتخاذ قرارات لم يكن يريد اتخاذها، وإلى الامتناع عن اتخاذ قرارات كان يريد اتخاذها.

ومع انفلات الحركة الوطنية على وقع المحاور العربية والدولية، وما حصل من تهديد لمبدأ استقلالية القرار الفلسطيني، أدرك عرفات أن تغليب الوحدة الوطنية على المصلحة الوطنية الفلسطينية سوف يؤدي إلى النتائج التي انتهى إليها الحاج أمين. فعقد اتفاق أوسلو سرا.

لم يكن عرفات خاضعا لأوهام أن العملية السياسية ستكون سهلة. لذلك لم ينزع بزته العسكرية. غير أنه كان متفائلا، وكان يعتقد بأن المتاعب المتأتية من انقسام الحركة الوطنية بفعل وجودها في الخارج، قد ولت. وإذ وصل لدى عودته للوطن، إلى أبواب غزة وتقدم على الطريق الإمبراطوري، أدرك أنه أول قائد فلسطيني يعبر هذا الطريق. غير أنه سرعان ما سيدرك أن متاعبه لم تنته بعد، وأن الوحدة الوطنية مهددة بالانقسام على النحو الذي حدث في الخارج. وإذ وجد نفسه في عام 2000 أمام معضلة اتخاذ موقف، فقد قرر العودة إلى التمسك بمبدأ الحفاظ على الوحدة الوطنية، على حساب حق القائد باتخاذ القرار.

غير أن السؤال يظل الآن قائما:

إذا كان ياسر عرفات قد رأى أن انقسام الحركة الوطنية في عهد الحاج أمين، كان السبب في حدوث النكبة، فهل كان يمكن لياسر عرفات أن يجنب شعبه ما لحق به من دمار خلال الانتفاضة المسلحة الأخيرة، على النحو الذي لحق بالفلسطينيين إبان ثورة 1936-1939، لو وجد إلى جانبه حركة وطنية أكثر تماسكا من الحركة التي أسسها الحاج أمين الحسيني؟

وهل كان يمكن أن لا تضيع تضحيات الانتفاضة الأخيرة هباء كما ضاعت تضحيات ثورة 1936- 1939 ، لو كان قادرا على اتخاذ قرار بقبول الكتاب الأبيض

الجديد الصادر عن الإدارة الأمريكية ومجلس الأمن الدولي بإقامة الدولة الفلسطينية، واتخاذ ما يلزم من إجرآت؟

وهل كان يمكن له أن يشهد هذه الدولة التي حلم بها منذ أواخر الخمسينات قبل أن يستشهد؟

وهل يمكن لشعبه أن يشهد دولة ياسر عرفات من بعد ياسر عرفات، لو قدر للحركة الوطنية أن تتوحد لأول مرة في تاريخها؟

وما هو المصير الذي ينتظر الفلسطينيين إذا لم تتوحد؟

الهوامش:

(1) جريس، صبري، 1986، تاريخ الصهيونية(الجزء الثاني)، مركز الأبحاث، م.ت.ف.، قبرص، ص.329.

(2) Kiernan, Thomas, 1976, Yasser Arafat: The Man & the Myth. Abacus Edition, Great Britain, P. 110.

(3) Hart, Alan, 1994, Arafat: A political Biography, Sidgwick& Jackson limited, London, P. 59.

(4) Wallach, John & Janet, 1991, Arafat in the Eyes of the Beholder, Heinemann, London, P. 94.

(5) Elpeleg, Zvi, 1993 The Grand Mufti: Haj Amin al-Hussaini, Founder of the Palestinian National Movement, Frank Cass & Co. Ltd., Great Britain, PP. 147-148.

(6) Ibid., p. 143.

(7) Ibid., P. 157.

(8) Wallach, op.cit., P. 311.

(9) Elpeleg, op.cit., P. 158.

(10) Gowers, Andrew & Walker, Tony, 1991, Behind the Myth: Yasser Arafat & the Palestinian Revolution, Buttler & Tanner Ltd., London, P. 30.

(11) تتباين المصادر في شأن تاريخ مولد الحاج أمين فتتراوح بين 1890و 1897، وهو يقول في مذكراته أنه ولد عام 1897، غير أن معظم الدارسين لحياة الحاج أمين يوردون عام 1895.

(12) Elpeleg, op.cit., P. 11.

- يذكر المؤلف في هذا المجال أن كثيرين كانوا قد شككوا في صحة نسب عائلة الحسيني، وأن باحثا يهوديا اسمه شلومو بن إيلكانا عثر في القدس في السنوات الأخيرة على وثائق قديمة تثبت صحة هذا النسب.

(13)Jbara, Taysir, 1985, Palestinian Leader Hajj Amin Al-Husayni, Mufti Of Jerusalem, Kingston Press Inc., Princeton, New Jersey, U.S.A., P. 15.

(14)Ibid., P. 16.

(15) Mandel, N., 1965, Turks, Arabs & Jewish Immigration into Palestine, St. Antony, s Papers, No. 13, Middle Eastern Affairs, no.4, Oxford, 1965, PP.77-108. See also: Abu Manneh, B., 1979, The rise of the Sanjak of Jerusalem in the ate 19th Century, in: Ben-Dor, The Palestinians & the Middle East Conflict, Turtledove Publishing House, London, PP.25-55.

(16) Elpeleg, op.cit., P. 2.

(17) Mattar, Philip,1988, The Mufti of Jerusalem: Haj Amin Al-Husayni & the Palestinian National Movement, Colombia University Press, New York, P. 9.

(18) Hourani, Albert,1970, Arabic Thought in the Liberal Age, London, PP.239-244. See also:

قاسمية، خيرية، 1973، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه(1908-1918)، مركز الأبحاث، م.ت.ف.، 1973 ص157.

(19) Hourani, Albert, 1984, The Emergence of The Middle East, Oxford, 1981,P.187.

(20) الحوت، بيان، القيادات والمؤسسات في فلسطين(1917-1948)-الطبعة الثانية، عكا، ص201.

(21) Mattar, op.cit., P. 10.

(22) Ibid., P. 10.

(23) Ibid., P. 11.

(24) Ibid., P. 12.

(25) النمر، إحسان، 1975، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، الجزء الثالث، مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية، نابلس، ص. 131-149.

(26) Mattar, op.cit., P. 7.

(27) قاسمية،مصدر سابق، ص. 62.:تنقل المؤلفة نص تقرير مؤسسة إيسكو الصادر عام 1949، والذي جاء فيه بأن المثقفين من أبناء فلسطين من سكان المدن الذين اطلعوا على الثقافة الغربية وتابعوا نمو الحركة الصهيونية،قد باتوا يخشون على الوجود العربي نفسه في فلسطين، وعبروا عن ذلك في الصحافة المحلية التي لعب المسيحيون فيها دورا هاما بسبب الفرص التعليمية المتوفرة لهم،بل إن الشعور بالخطر الصهيوني كان من جملة العوامل التي قربت بين الفئتين.

(28) Mattar, op.cit., P. 8.

(29) Jbara, op.cit., P. 146.

(30) Ibid., P. 168.

(31) Mattar, op.cit., P. 9.

(32)– Kiernan, op.cit., P. 110.

(33) Ibid, P. 143.

(34)Hart, op.eit., P. 47.

(35) Ibid., P.46.

(36) Kiernan, op.cit., P. 43.

(37) Kiernan, op.cit., P. 147.

–يذكر المؤلف أن هذا الشخص هو شاب لبناني الأصل اسمه ماجد الحلبي، درس في باريس واكتشف حين عاد بأن والده قد باع أراضيه لليهود، فنقم عليه وجاء إلى فلسطين لكي يناضل فيها واستقر في غزة إلى أن قتل.

(38) Ibid., P. 49.

(39)- Ibid., PP. 35– 60.

(40) Ibid., P. 142.

(41) Ibid.

(42) Ibid., P. 123.

(43) Ibid., P. 180.

(44) Wallach, op.cit., P. 95.

(45) Ibid., P. 96.

(46) Jbara, op.cit., P. 26.

(47) Ibid., P. 29.

(48) Mattar, op.cit., P. 17.

(49) جريس، صبري، مصدر سبق ذكره، ص57.

(50) Mattar, op.cit., P. 43.

(51)Jbara, op.cit., P. 168.

(52) Mattar, op.cit., P. 9.

(53) جرار، حسني، 1987 الحاج أمين الحسيني،دار الضياء،عمان، الأردن،ص.413، نقلا عن:
Christopher, Sykes, 1965, Cross roads to Israel, London, p. 175.

(54) العبيدي، عوني جدوع، 1985، صفحات من حياة الحاج أمين الحسيني، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ص102.

(55) Wallach, op.cit., P.310.

(56) عبد الرحمن، أسعد، (تحرير)، 1987، منظمة التحرير الفلسطينية، جذورها، تأسيسها، مساراتها، مركز الأبحاث، م.ت.ف.، قبرص، ص. 144.

ينقل ا لمحرر إحصائية حول حركة فتح، جاء فيها: "في الوقت الذي لم تكن فيه عضوية فتح تزيد عن بضع مئات قبل حزيران 1967، زادت بعد معركة الكرامة1968إلى حوالي ألفين، ثم قفزت إلى ما يقرب من خمسة عشر ألفا في الشهور الثلاثة التي تلت المعركة.

(57)Kiernan, op.cit., PP. 182-183-186.

(58) لم يتمكن أحد من معرفة حقيقة الأموال التي حصل عليها ياسر عرفات لفتح بشكل خاص، وأذكر أنني حين كنت أعمل في مكتبه في تونس، عرضت عليه تقريرا صادرا عن المملكة العربية السعودية عام 1991 يتضمن جردا بالأموال التي منحتها له حتى ذلك الحين، فاستهزأ به وقال بأنه غير صحيح.

(59) Kiernan, op.cit., P. 96.

(60) Hart, op.cit., P.294.

(61) Ibid., P. 296.

(62) جريس، مصدر سبق ذكره، ص. 25-26.

(63)Jbara.op.cit., P. 157.

(64) انظر أجزاء من شهادة الحاج أمين أمام لجنة بيل في: الحوت، بيان، مصدر سابق، ص 362، ثم أجزاء أخرى في: زعيتر، أكرم، الحركة الوطنية الفلسطينية (1935-1939):يوميات أكرم زعيتر، 1980، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ص 260. كذلك يورد زعيتر رد عوني عبد الهادي في شهادته أمام اللجنة، على نفس السؤال الذي وجه للحاج أمين حول مصير اليهود، حيث قال:" لا تصدقوا أننا نعطي جزءا من فلسطين باختيارنا، ولكن إذا طلب منا تعهدات تحفظ مصالح جميع السكان فتكون لهم جميع الحقوق بالتساوي مع العرب، فنحن على استعداد لذلك"، ص.267.

(65)Jbara, op.cit.P.157.

-يذكر جبارة أن الدكتور حسين فخري الخالدي، رئيس بلدية القدس في ذلك الحين، انتقد ما قاله الحاج أمين وعلق بقوله:"لو لم يقل الحاج أمين هذا الكلام، لتغير تاريخ فلسطين".

(66) Mattar,op.cit.,PP.26-51.

(67) Ibid.,P.69.

(68) انظر جواب الحاج أمين على رسالة الشيخ عز الدين القسام عام 1935التي يدعوه فيها للانضمام للكفاح المسلح ضد بريطانيا، والذي يقول فيه بأن الوقت لم يحن لمثل هذا العمل وأن الجهود الدبلوماسية التي تبذل تكفي لحصول عرب فلسطين على حقوقهم، في: العبيدي، مصدر سبق ذكره، ص. 71.

(69) Mattar, op.cit.,P.5.

– كذلك انظر بيان اللجنة العربية العليا الموجه للشعب في ابريل 1936 والذي يحثهم على اتباع " الطرق السلمية"، ثم بيان الحاج أمين الخاص به والموقع باسمه، والذي يطلب فيه كذلك اللجوء إلى "الوسائل المشروعة"، في : زعيتر، مصدر سبق ذكره، ص99، 132.

(70) حول تفاصيل نشاطاته الإسلامية، انظر: جرار، مصدر سبق ذكره، ص81–119.

(71) رفض الحاج أمين في عام 1923مشروع الوكالة العربية، وذلك من منطلق رفض تقسيم البلاد. انظر: العبيدي، مصدر سبق ذكره، ص40.

(72) Jbara, op.cit., P. 184-185.

(73) انظر مشروع الأقلية في:

John & Haddawi, 1970, The Palestine Diary, vol. II, 1945-1948, Palestine Research Center,Beirut, PP. 264-265.

(74) Flapan, Simha, 1987, The Birth of Israel, Pantheon Books, New York, P.58.

(75) مقابلة مع الحاج أمين أجراها عماد شقور وخيرية قاسمية ، ونشرت بعد وفاته، مجلة شؤون فلسطينية، 1974، مركز الأبحاث، م.ت.ف.، بيروت، العدد36.

(76) Wallach, op.cit.,P.83.

(77) ابحث في الإنترنيت عن أدبيات حركة القوميين العرب.

(78) نفس المصدر.

(79) Elpeleg,op.cit., P. 181.

(80) الشعيبي، عيسى، 1985، الكيانية الفلسطينية: الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي(1947–1977)، مركز الأبحاث، م.ت.ف.، قبرص، ص119.

(81) كان خالد الحسن ضد البدء الفوري بالكفاح المسلح، ولم يكن يؤيد عرفات في اللجنة المركزية سوى خليل الوزير، انظر حديث خالد الحسن في :

Hart, op.cit., P.118.

(82) Wallach, op.cit., P. 152.

(83) Hart, op.cit., P.203.

(84) انظر الأسباب في:

Wallach, op.cit., P.155

(85) – حول تفاصيل الدولة الديمقراطية، انظر: الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1968،مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1969، ص.55–56 . وكذلك:نبيل شعث، فلسطين الغد، شؤون فلسطينية، العدد2، أيار 1971،ص. 5–23. وكذلك:

- Gresh, Allan, 1988, Towards an Independent Palestinian State, Zed Books, London, P. 44.

(86) نفس المصدر.

(87) الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1969، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1970.

(88) نفس المصدر.

(89) زعيتر، مصدر سبق ذكره، ص 76.

(90)Jbara,op.cit., P. 156

(91) انظر نص بيان اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج أمين، الصادر في 1937/7/23، في زعيتر، نفس المصدر، ص. 307.

(92) Ibid., P. 81.

(93) جريس، مصدر سبق ذكره، ص121.

(94) نفس المصدر، ص.124،122.

(95) طنوس، مصدر سبق ذكره، ص193.

(96) زعيتر،مصدر سبق ذكره، ص336.

(97)Elpeleg, op.cit., P.49.

(98) انظر نص البيان في: جريس، مصدر سبق ذكره، ص. 400.

(99) نفس المصدر، 364

(100) انظر نص الكتاب الأبيض لعام 1939 في جريس، نفس المصدر.

(101) طنوس، عزت، 1982، الفلسطينيون: ماض مجيد ومستقبل زاهر،مرز الأبحاث، م.ت.ف.، بيروت، ص251.

(102) Elpeleg, op.cit., P. 52.

(103) طنوس، مصدر سبق ذكره، ص295.

(104) جريس، مصدر سبق ذكره، ص. 400.

(105) طنوس، مصدر سبق ذكره، ص254.

(106)Wallach, op.cit., P. 312.

107) عقد عرفات مع الملك حسين عدة اتفاقات هدنة خلال عام 1970، منها اتفاق في 6/9، وآخر في 7/10، ثم في 9/14، وكانت تنهار بعد فترات وجيزة من عقدها،انظر:

- Wallach, op.cit., PP.323-330

(108) Ibid., P. 315-317.

(109) Hart, op.cit., P.387.

(110) Ibid., P. 346.

(111) انظر نص برنامج النقاط العشر في : الوثائق الفلسطينية العربيـــة لعـــام 1974،مؤسـســة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1975.

(112) Hart, op.cit., P.243.

(113) انظر البرنامج السياسي الصادر مع إعلان الاستقلال في: الوثائق الفلسطينية العربية لعام 1975.

(114) Wallach, op.cit., P.315.

(115) Hart, op.cit., P. 387.

(116) Ibid., P.390.

(117) Ibid., P.387.

(118) ابحث عن نص خطاب السادات على الإنترنيت

(119) Gowers, op.cit., P.175.

(120) نوفل ، مصدر سبق ذكره، ص126.

(121) Gowers, op.cit., P.181

(122)Ibid

(123) نوفل،ممدوح، 2000، البحث عن الدولة ،المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية(مواطن)، رام الله، فلسطين، ص27.

(124) نفس المصدر، ص34.

(125) نفس الصدر، ص29.

(126) نفس المصدر، ص39.

(127) نفس المصدر، ص40.

(128) Gowers, op.cit., P. 190.

(129) نوفل، مصدر سبق ذكره، ص44.

(130) Gowers, op.cit., P. 213.

(131) Ibid., P.211.

(132) نوفل، مصدر سبق ذكره، ص71.

(133) Gowers, op.cit., P.78.

(134) Ibid.

(135) Ibid.

(136) نوفل، مصدر سبق ذكره، ص66.

(137) Hart, op.cit., P.422.

(138) Ibid., P.424.

(139) Jbara, op.cit., P.107.

(140) Mattar, op.cit., P. 64.

(141) رؤوف شير محمد، 1985، سعاد، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية، جامعة بغداد، انظر فصل "نوري السعيد والقضايا القومية، ص201-271.

(142) عبد الهادي، عوني، 1974، أوراق خاصة، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ص115.

(143) Jbara, op.cit., P. 151.

(144) جبر، مروة، 1989 جامعة الدول العربية وقضية فلسطين، (1945-1965)، مركز الأبحاث، م.ت.ف.، قبرص، ص148.

(145) Elpeleg, op.cit., P.135.

(146) Ibid., P.136.

(147) Hart, op.cit., P.99.

(148) Wallash, op.cit., P.103.

(149) Kiernan, op.cit., P.166:

-يقول ياسر عرفات في شأن حرب السويس:" في ذلك الحين، تبخر إيماني بقدرة مصر على مساعدة الفلسطينيين، كان مؤذيا أن ترى آلاف الجنود المصريين وهم يهربون إلى القاهرة، عبد الناصر نفسه مر بمثل هذه التجربة عام 1948 وظل يقول لنا إن ذلك لن يحدث ثانية طالما هو في الحكم، هاهو الأمر يحدث ثانية وهو في الحكم منذ أربع سنوات".

(150) Hart, p.cit., P.159.

(151) Ibid., P.172.

(152) Ibid., P.242.

(153) انظر اتفاقية القاهرة في: عبد الحمن، مصدر سبق ذكره، ص195.

(154) انظر اتفاقية عمان في نفس المصدر، ص189.

(155) نفس الصدر، ص.267.-انضم لجبهة الرفض كل من الجبهة الشعبية والجبهة العربية، وجبهة النضال الشعبي، والجبهة الشعبية القيادة العامة.

(156)Seale,Patrick,1992,AbuNidal,AGunforHire,RandomCenturyGroupLtd. London, PP. 151-178.

(157) نوفل، مصدر سبق ذكره، ص74.

(158) نفس المصدر، ص54.

(159). حول علاقة حماس بالسلطة لدى قيامها - انظر الحروب، خالد، 1996، حماس: الفكر والممارسة السياسية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ببيروت، ص118-125.

(160) طنوس، مصدر سابق، ص260.

(161) نفس المصدر.

(162) مذكرات الحاج أمين الحسيني، 1999،دار الأهالي للطباعة والنشر، دمشق،ص58-59.

(163) Jbara, op.cit, P. 182.

(164) Mattar, op.cit., P.61.

حول موقف الحاج أمين من الشيوعية والشيوعيين، انظر كلمته في تأبين مرشد الإخوان المسلمين حسن البنا، التي يتحدث فيها عن "الملاحدة ودعاة الإباحية ومروجو الفكرة الشعوبية..." في: العبيدي، مصدر سبق ذكره، ص94.

(165) على الرغم من تصويتها إلى جانب مشروع التقسيم، غيرت الولايات المتحدة موقفها وتقدمت إلى الأمين العام للأمم المتحدة في 1948/2/19 بمذكرة قالت فيها : بأن التصويت الذي جرى في 1947/11/29 هو مجرد توصية، وطالبت بإدراج مناقشة جديدة حول نظام وصاية مؤقت تتم إقامته في فلسطين. غير أن الاتحاد السوفييتي رفض ذلك، وبقيت مترددة لفترة من الوقت. انظر: حجاوي، سلافة، في التاريخ السياسي لفلسطين: دراسة في المكان، مطبعة الحجاوي، نابلس، 2000، ص151-152.

(166) حجاوي، سلافة، الصين والصراع العربي الصهيوني، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، العدد 33-34، نوفمبر-ديسمبر 1983، ص363-380.

(167) Hart, op.cit., P. 242.

(168) Gowers, op.cit.,P.187.

(169). نوفل، مصدر سبق ذكره، ص41-42.

(170) Hart, op.cit., P. 330.

المصادر والمراجع العربية والأجنبية:

1. جبر، مروة، 1989 جامعة الدول العربية وقضية فلسطين(1945-1965)، مركز الأبحاث، م.ت.ف.، قبرص.
2. جرار، حسني، 1987، الحاج أمين الحسيني، دار الضياء، عمان، الأردن.
3. جريس، صبري، 1986، تاريخ الصهيونية، الجزء الثاني 1918-1939، مركز الأبحاث، م.ت.ف، قبرص.
4. حجاوي، سلافة، 2000، في التاريخ السياسي الفلسطيني، دراسة في المكان، مطبعة الحجاوي، نابلس، فلسطين .
5. حجاوي، سلافة، الصين والصراع العربي- الصهيوني، مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، العدد 34/33 نوفمبر-ديسمبر 1983، ص363-380.
6. الحروب، خالد، 1996، حماس:الفكر والممارسة السياسية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت.
7. الحوت، بيان،1984،القيادات والمؤسسات في فلسطين(917-1948)،الطبعة الثانية عكا.
8. رؤوف شير محمد، 1988، سعاد، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية، جامعة بغداد، العراق.

9. زعيتر، أكرم،1980، يوميات أكرم زعيتر، الحركة الوطنيـــة الفلـــسطينية(1935-1939)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت.
10. الشعيبي، عيسى، 1979، الكيانية الفلسطينية: الوعي الـذاتي والمؤســساتي(1947-1977) ،مركز الأبحاث،م.ت.ف.،بيروت .
11. طنوس، جورج، 1982، الفلسطينيون، ماضي مجيد ومـــستقبل زاهـــر، مركـــز الأبحـــاث، م.ت.ف، الجزء الأول، مركز الأبحاث، م.ت.ف.
12. عبد الرحمن أسعد(تحرير)، 1987، منظمة التحريـــر الفلـــسطينية،، جـــذورها، تأسيـــسها، مساراتها، مركز الأبحاث، م.ت.ف، قبرص.
13. عبد الهادي، عوني، 1974، أوراق خاصة، إعداد خيرية قاسمية، مركز الأبحاث/ م.ت.ف.
14. العبيدي، عوني جدوع، 1985، صفحات من حياة الحاج أمين الحـــسيني، مكتبـــة المنـــار، الزرقاء الأردن.
15. قاسمية، خيرية، 1973،النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصـــداه، مركـــز الأبحـــاث، م.ت.ف.، بيروت.
16. مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث، م.ت.ف.، بيروت، العدد 2 (أيار 1971) والعدد36 (آب 1974).
17. مجلة شؤون عربية، جامعة الدول العربية، العدد 34/33، 1983.
18. مذكرات الحاج أمين الحسيني، 1999، دار الأهالي للطباعة والنشر حول موقل العرب مـــن الكتاب الأبيض، ص115 دمشق.
19. النمر، إحسان ، 1975، جبل نابلس والبلقاء(الجزء الثالـــث)، مطبعـــة جمعيـــة المطـــابع التعاونية، نابلس، فلسطين .
20. نوفل، ممدوح، 2000، البحث عن الدولة، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية(مواطن)، رام الله.
21. الوثائق الفلسطينية العربية ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية،بيروت، سلسلة الأعداد.
22. Elpeleg, Zvi, 1999, The Grand Mufti: Haj Amin al- Hussaini: Foumder of The Palestinian National Movement, Frank Cass and Co.ltd,. Great Britain.
23. Flapan, Simha, 1978 The Birth of Israel, Pantheon Books.
24. Gowers, Andrew and Walker,Tony, 1987, Behind the Myth: Yasser Arafat & the Palestinian Revolution, Buttler and Tanner LTD., London, 1990.New York.
25. Hart,Alan,1994,Arafat:Apolitical Biography,Sidgwick&Jackson, London، Revised Edition.

26. Hourani,Albert, 1981,The Emergence of the Middle East, Oxford.
27. Hourani, 1970, Albert, Arabic Thought in the Liberal Age, London, Oxford.
28. Jbara, Taysir, 1985, Palestinian Leader HajjAmin AlHuseini: Muftiof Jerusalem, Princeton, New Jersey, U.S.A.
29. John & Haddawi, 1970,The Palestine Diary (1945-1948), the Palestine Research Center, Beirut.
30. Kiernan,Thomas, 1976,Yasir Arafat: The Man & the Myth, Abacus Edition, Great Britain.
31. Mandel,N, 1965, Turks, Arabs & Jewish immigration into Palestine, St. Antony, sPapers, No.13, Middle Eastern Affairs, No.4, Oxford.
32. - Manneh, Abu, 1979, The Rise of the Sanjak of Jerusalem in the 19th Century, in Ben-Dor, The Palestinians & the Middle East Conflict, Turtledove publishing House, London.
33. Mattar, Philip, 1988,The Mufti of Jerusalem, Al-Hajj Amin Al-Husayni and the Palestinian National Movement, Colombia University Press, New York.
34. Seale, Patrick, 1992, Abu Nidal: A Gun for Hire, Random Century Group ltd., London.
35. Wallach, John & Janet, 1991, Arafat in the Eyes of the Beholder, Heinemann, London.